كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

------

# الوحدات القطعية في لغة القرآن الكريم

## عددها واستعمالاتها والملامح الصوتية المميزة لها

إعداد

د / ممدوح إبراهيم محمود محمد

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

( العدد الثلاثون – الجزء الرابع ديسمبر ٢٠١١م )

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

وبعد ،،،

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه منزل من لدن حكيم خبير بصير وعزيز غالب ، وهو معجزته الخالدة والتي تحدى بها فصحاء العرب فعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته وهو أقل ما يكون التحدي .

وإعجازه يأتي من وجوه عديدة لغوية وعلمية وتشريعية وكونية وتاريخية، وهو أيضا معجز بنظم أسلوبه ، وبجرس ألفاظه ، وأصوات كلماته ، وغير ذلك من وجوه الإعجاز التي لا يمكن حصرها فيه والتي قد يعرف بعض أسرارها ويخفى الكثير منها . يقول الشيخ / الزرقاني (ت ١٣٧٦هـ) : " إن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن والمزايا التي توافرت فيه حتى جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته أفاض العلماء فيها بين مقل ومكثر ولكنهم بعد أن طال بهم المطاف وبعد أن دميت أقدامهم وجفت أقلامهم لم يزيدوا على أن قدموا إلينا قلا من كثرة وقطرة من بحر ، معترفين بأنهم عجزوا عن الوفاء وأن ما خفى عليهم فلم يذكروه أكثر مما ظهر لهم فذكروه ، وأنهم لم يزيدوا على أن قربوا لنا البعيد بضرب من التمثيل رجاء الإيضاح والتبيين ، أما الاستقصاء والإحاطة بمزايا الأسلوب القرآني وخصائصه على وجه الاستيعاب فأمر استأثر به منزله الذي عنده علم الكتاب ، ومن أهم هذه الخصائص

في أسلوبه مسحة القرآن اللفظية فإنها مسحة خلابة عجيبة تتجلي في نظامه الصوتي وجماله اللغوي" [١]

ولا عجب في ذلك فهو الذي حفظ كيان هذه الأمة وجمع شتاتها ووحدها على مر العصور ، بل وحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك بشهادة المستشرقين أنفسهم يقول فليب دي طرازي : " أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها فقد جمع شتات العرب ، ومن المقرر أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة الفصحى في الخافقين ، ولولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها ، ولولا القرآن لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر ، وقد حفظ القرآن التفاهم بين الشعوب الإسلامية وبين العرب . والقرآن هو الذي جمع كلمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم وأوطانهم وأحدث انتشاره تأثيرًا كبيرًا في أخلاق الشعوب التي دانت بالإسلام ، وفي عقولهم وآرائهم وميولهم ، فأدمجوه في كل شأن من شؤنهم دينية ودنيوية ، واتخذوه مصدرًا لقضائهم ، ودعامة لمنازعهم السياسية وسائر أمورهم " . [٢]

ونظراً لما يتميز به الأسلوب القرآني من خصائص وسمات تجعله في المرتبة الأعلى في الفصاحة والبلاغة فإني أردت أن أبين بعضاً من أسراره وخصائصه الصوتية . إذ هي الأساس الذي قامت عليه الدراسات الصوتية عند العرب . نكشف من خلالها عن بعض الجوانب من نظامه الصوتي البديع لاسيما فيما يرتبط بالوحدات الصوتية التركيبية أو القطعية التي هي عمود أي بناء صوتي

---

[١] مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ٢٢٢ .

[٢] الفصحى لغة القرآن . د/ أنور الجندي ٣٢ . ٣٣ .

وأساسه في جميع اللغات البشرية حتى يمكننا أن نثبت الفرق بين النظام الصوتي في لغة القرآن الكريم الذي هو من عند الله ـ ﷻ ـ وبينه في العربية الفصحى التي يتباهى عرب الجاهلية بأنهم قد أتقنوها وأجادوها وأنهم قد بلغوا الغاية وقد وهموا في ذلك ؛ لأن النظام الصوتي في لغة القرآن الكريم بما يشتمل عليه تكويناً ـ (إفراداً وتركيباً ورسماً ) ـ وأداءً ، قد استهوى النفوس واسترعى الأسماع بما يحتويه لاسيما عند أدائه على لسان مقرئيه من تنغيم وتلوين أو تجانس صوتي محبب يصل إلى أذن السامع بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور حتى يشعر السامع ولو كان أعجمياً لا يعرف العربية بأنه أمام توقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر ، وذلك لتنقله دائماً بين ألوان أدائية متنوعة وتلوينات صوتية متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة ، ويبدو ذلك في اتساق القرآن الكريم وائتلافه في حركاته وسكناته ، و مداته وغناته واتصالاته وسكتاته ... إلخ .

ونظراً لأن هذا البحث يقتصر على الوحدات الصوتية التركيبية أو القطعية في القرآن الكريم فقد جاء على النحو الآتي :

المقدمة : وفيها تحدثت عن فضل القرآن الكريم على الأمة العربية بل الإسلامية عامة ، وأنه كان الأساس الأول للدراسات الصوتية عند العربية حيث نشأت مرتبطة به وتطورت لخدمته ، وبينت سبب اختيار هذا الموضوع وخطته .

التمهيد : وفيه تحدثت عن مكونات النظام الصوتي للغة العربية ، والفرق بينه وبين النظام الصوتي في لغة القرآن الكريم .

المبحث الأول : الوحدات القطعية الصامتة واستعمالاتها في لغة القرآن الكريم

المبحث الثاني : الوحدات القطعية الصائتة واستعمالاتها في لغة القرآن الكريم

المبحث الثالث : الوحدات القطعية في الفاصلة القرآنية .

المبحث الرابع : الوحدات القطعية في مرسوم الخط القرآني .

الخاتمة : وفيها أوجزت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

**الفهارس وتشتمل على :**

**١ ـ فهرس المصادر والمراجع .**

**٢ ـ فهرس موضوعات البحث .**

**وبعد فإني أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما صبوت إليه إنه نعم المولى ونعم النصير ، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعني يوم العرض عليه . فإن كان فيه من نقص أو تقصير أو خلل فهو مني ، فالله الكامل والنقص في الناس شامل ، وهذه سنة الله في خلقه ، آملا في تصويب ما به من خطأ أو تكميل ما فيه نقص عند توجيه أساتذتي أهل العلم والفضل إلى ذلك جزاهم الله عنا وعن طلاب العلم خير الجزاء.**

**﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .**

**( هود ٨٨ )**

**دكتور / ممدوح إبراهيم محمود**

# تمهيد

الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة ، أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة ، أو المجتمعة في وحدات أكبر ترتقي حتى تصل إلى المجموعة النفسية . وعلى هذا فإن أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية ، أو لعناصرها التكوينية، وتقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية ... ولا يستغني اللغوي مهما كان منهجه في دراسة اللغة وصفيا أو تاريخياً أو معيارياً أو مقارناً ، لا يستغني عن علم الأصوات [١] ؛ وذلك لما له من أثر كبير في دراسة اللغة في جميع مستوياتها الصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، والبلاغية ، بل لما له من أثر كبير في الحفاظ على اللغة وصيانتها من اللحن والدخيل ، ومحاربة عوامل الابتداع والتغيير مما يحفظ للغة وحدتها وسلامتها . ولا أدل على ذلك من أن الدراسات الصوتية العربية بوجه عام قد نشأت أساسا خدمة للأداء القرآني على وجهه الصحيح . فالعجم الذين أسلموا في القرنين الأولين من قرون الإسلام كان يهمهم للغاية أن يحسنوا قراءة المصحف الشريف ، وينطقوا أصواته نطقاً عربياً خالصاً ، ولم يروا إلى ذلك سبيلاً إلا تعميق المطالعة لأصوات العربية وإحكام إنتاجها . [٢]

وبالنظر في النظام الصوتي لأصوات اللغة العربية وما سواها من اللغات المنطوقة نجد أنه يتكون من دعامتين أساسيتين هما :

١. الفونيمات القطعية (Segmental Phonames) ويقصد بها الصوامت والصوائت في اللغة .

---

[١] دراسة الصوت اللغوي صـ ٤٠١ ، ٤٠٢ بتصرف .

[٢] ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص١٧ .

٢. الفونيمات الفوقطعية (Supra Segmental) وتشتمل على الفواصل والنبرات والنغمات ، وهي ظواهر غير واضحة في أبجديتها ولكنها متصلة ومصاحبة للنطق والأداء ، فحين نتكلم فإننا لا نصدر أصواتاً أو فونيمات قطعية ذات أصوات مفردة منعزلة ؛ لأن الكلام ـ في أدائه الصحيح حسب نظام أصوات اللغة المنطوقة ـ مكون من سلسلة من الأصوات المتعاقبة المتتابعة التي يأخذ بعضها بحجز بعض في تناسق وترتيب دقيقين حتى ليخال للمتأمل في النشاط الكلامي الإنساني أن وضع حواجز وحدود واضحة ودقيقة بين مقطع أو صوت وآخر في النشاط الأدائي للكلام أمر بالغ الصعوبة ؛ ذلك لأن المتكلم بأصوات لغته الأم أثناء كلامه يصبغ فونيمات اللغة القطعية جميعها بألوان لا تحصى من الفونيمات الفوقطعية جميعها كالضغط على بعض المقاطع الصوتية دون بعض أو علو درجة الصوت وموسيقاه أو انخفاضهما وكذا اختلاف مواطن الفصل والوصل بين الوحدات الصوتية المتتابعة وكل ذلك يساعد المتكلم والمتلقي على إبراز المعاني وتجليتها . [١]

إلا أننا نظرًا لطول الموضوع وتشعبه نقصر حديثنا ـ هنا ـ على الوحدات أو الفونيمات القطعية أو التركيبية تلك التي يعنى بها الوحدات الصوتية التي تكون جزءً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق . [٢] حيث هي الدعامة الأولى والأساسية في النظام الصوتي لأي لغة بشرية فنتناول فيه دراسة الوحدات الصوتية القطعية في القرآن الكريم من حيث عددها واستعمالاتها وكيفية أدائها وما يجوز استعماله منها في لغة القرآن الكريم وما لا يجوز ، وما يكثر استعماله منها

---

[١] ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون ـ يحيى بن علي المباركي ـ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد ١٢٠ صـ ٣٩٦، السنة ٣٥ ـ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م .

[٢] الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ص ١٢٨ .

فيه وما يقل استعماله ، فنبين أسرارها ونذكر ملامحها الصوتية المميزة لها نطقاً ورسماً .

وإذا كان النظام الصوتي لأي لغة بعيدًا كل البعد من أن يكون ثابتًا طوال تطور لغة من اللغات كما ذكر فندريس .[١] فلعل أهم ما يميز النظام الصوتي للغة العربية عامة ولغة القرآن خاصة أنه يتميز بثباته واستقراره عبر العصور الممتدة من عمر اللغة يقول أحد الباحثين المحدثين : " إذا كان اللغويون المحدثون يلاحظون بوجه عام " أن النظام الصوتي بعيد كل البعد من أن يكون ثابتًا طوال تطور لغة من اللغات " ، فإن معجزة الكلمة العربية تتجلى في ثبات أصواتها التي تومئ إلى مدلولاتها ، حتى لو أن عربياً جاهليًّا بعث الآن وسمعنا ننطق بلفظ فصيح لفهمه ؛ لأن أصوات لغتنا الفصحى لم يطرأ عليها تغيير، فطريقة النطق بها اليوم لا تختلف في شيء عن طريقة النطق بها بالأمس البعيد ، ونحن حريصون على تقييد لغتنا في هذه المواطن " بالفصحى" [٢]. وهذا ما شهد به المستشرقون أنفسهم يقول ستنكيفتش : " من المؤكد ـ بطريقة أو بأخرى ـ أن اللغة العربية لغة متميزة ، لقد عاشت خمسة عشر قرناً لم تتغير في أثنائها تغيراً جوهرياً ، إنها غالباً ما تكسب ولم تخسر البتة " [٣]. ويرجع الفضل في ذلك إلى نزول القرآن الكريم بهذه اللغة الشريفة .

والمقصود بالنظام الصوتي في لغة القرآن هو : " اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً

---

[١] اللغة صـ ٦٤ .

[٢] دراسات في فقه اللغة ـ د/ صبحي الصالح صـ ٢٨٥ .

[٣] في علم اللغة ـ د/ محمد محي الدين أحمد محمود صـ ٦ .

يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور.... " [١].

## الفرق بين النظام الصوتي في القرآن وبينه في العربية الفصحى :

اللغة العربية عمومًا ، ولغة القرآن خاصة لغة جميلة يتوافق فيها النظام الصوتي مع جمالها ، والأصوات الحادثة من التقاء الحروف ببعضها وأدائها على وجهها الصحيح من الصفات والمخارج توافقاً يأسر الأسماع والقلوب معا .

فالقرآن الكريم قد نزل بلغة العرب الذين هم غاية في الفصاحة والبلاغة متحدياً لهم أن يأتوا بمثل آية منه فعجزوا لا لأنه قد خرج في تأليفه الصوتي عما هو معروف عن العرب في لغتهم سواء أكان هذا التأليف على مستوى الصوت أم اللفظ المفرد أم التركيب اللغوي في جمله وأساليبه ، " فمن حروفهم ركبت كلماته ، ومن كلماتهم ألفت جمله وآياته ، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه ، فهو لم يخرج في لغته عن سنن العرب إفراداً وتركيباً " . [٢].

وعلى الرغم من ذلك نجد اختلافاً بيناً بين النظام الصوتي في لغة القرآن الكريم والنظام الصوتي في العربية الفصحى ، " فقد أتي القرآن الكريم بما يعجز الجميع حيث انماز بنظامه الصوتي الذي لا يقترب منه في خصائصه نظام أبداً " [٣]. ذلك أن النظام الصوتي في لغة القرآن متميز ويراعى فيه الجمال الصوتي الذي يبدو في أدائه ، وفي استعمال حروفه وحركاته ، ومداته وغناته ، ووقفه وسكتاته ، وفي نظمه وتآلف الحرف مع غيره في الكلمة القرآنية ، وفي حذف الحرف أو إثباته ، وفي زيادته وإبداله ، وفي فواصله ، وفي رسمه ... إلخ

---

[١] مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٢٢٣

[٢] السابق نفسه .

[٣] السابق نفسه .

وقد تحدث د/ دراز عن خاصية تأليفه الصوتي مبيناً أنها سر من أسرار جماله اللغوي في أساليبه المتنوعة فقال : " أول ما يستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره " . [١]

ويقول أيضا : " هديت إلى السر الذي فطنت له العرب ولم يفطن له المستعربون إن أول شيء أحسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيح فيجد عندها راحته العظمى ، وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها فذهبت فيها إلى حد الإسراف في الاستهواء ثم إلى حد الإملال في التكرير فإنها ما كانت تعهده قط ولا كان يتهيأ لها بتلك السهولة في منثور كلامها سواء منه المرسل والمسجوع ، بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه ولا يمكن معها إجادة ترتيله إلا بإدخال شيء عليه أو حذف شيء منه .... فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة لا كركرة ولا ثرثرة ولا رخاوة ولا معاظلة ولا تناكر ولا تنافر وهكذا ترى كلاماً ليس بالحضري الفاتر ولا بالبدوي الخشن بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها برقة الحاضرة وسلاستها وقدر فيه الأمر تقديراً ، لا يبغي بعضهما على بعض فإذا مزيج منهما كأنما هو عصارة اللغتين وسلالتهما ، أو كأنما هو نقطة الاتصال بين القبائل عندها تلتقي أذواقهم وعليها تأتلف قلوبهم " . [٢]

فنظامه الصوتي البديع بما يحتويه هو الذي استهوى النفوس واسترعى الأسماع كما سبق أن ذكرت ، وكان داعية إلى الإقبال عليه وتأمله وتدبر كلماته

---

[١] النبأ العظيم ( نظرات جديدة في القرآن ) صـ ١٢٧ ، ١٢٨ بتصرف .

[٢] النبأ العظيم صـ ١٣١ ـ ١٣٣ بتصرف .

**الأمر الذي جعل الوليد بن المغيرة يقر بذلك فيقول لبني مخزوم : " والله لقد سمعت آنفاً من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن . إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى ".** [1]

**أما العربية فنطقها غير ذلك فهي معتمدة على نطق قريش وعلى كثير من نحوها وصرفها ، وفيها تنطق الحروف كما هي إلا إذا أبدلت كتابة مثل (التاء) إذا جاءت بعد زاي فتصير دالا (ازدهر ، ازدجر ، ازدحم) ، أما الحروف الأخرى فتنطق كما هي ترقيقاً أو تفخيماً ، وينبغي عدم نطقها باعتماد النظام القرآني .**

---

[1] **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٣٩١ .**

# المبحث الأول

## الوحدات القطعية الصامتة واستعمالاتها في لغة القرآن

تعد الوحدات القطعية الصامتة عنصراً أساسياً مهماً في بناء الكلام ، وينظر إليها في كثير من اللغات على أنها الهيكل الأساسي في بنية الكلمة وصيغتها والمادة اللغوية التي يرتبط بها المعنى الأصلي أو العام ، فهي تمثل أسس المقاطع وقواعدها وبدءها ونهايتها ، وتكتسب أهمية في نظر الباحثين من ناحية : كثرتها في اللغة ، وتعدد أنواعها ، واختلاف ألوانها ، واتساع مدارجها ومخارجها بحيث تبدو كأنها الوحيدة في مجال النطق ومجاري الكلام [1] . ونظراً لذلك نود أن نلقي الضوء على هذه الوحدات التي تتكون منها الكلمات في لغة القرآن الكريم . فنكشف عن عددها ، ونبين أنواعها ، وطرائق نطقها فيه ، وما يجوز استعماله منها في لغة القرآن الكريم وما لا يجوز ، وما يكثر استعماله في لغة القرآن الكريم من هذه الوحدات وما يقل منها فيه ، ونحاول من خلال ذلك الكشف عن بعض السمات والخصائص اللغوية لهذه الوحدات المستعملة فيه والتي هي من جنس كلام العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم متحدياً لفصاحتهم وبلاغتهم التي عرفوا بها فعجزوا عن معارضته ، إلا أننا نكتفي هنا بالنظر في هذه الوحدات القطعية المنعزلة من دون النظر إلى سياقها التركيبي في الكلمة القرآنية لكون ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة ومستفيضة لارتباطه بنظرية الفصاحة .

---

[1] علم الصوتيات صـ ٢١٠ ـ ٢١٢ بتصرف .

## أولاً : حروف العربية : { عددها وأنواعها وتأدياتها في لغة القرآن }

لا تتحد الحروف في اللغات وإنما تختلف باختلافها عدداً ونوعاً تبعاً لاختلاف مخارجها واختلاف أعضاء نطقها وإن اشتركت في كثير منها . قال المَاوَردي ( ت٤٠٥هـ) : " حروف اللغات مختلفة الأَعداد والأَنواع ، فالضاد مختصة بالعربية ، وبعضها مختص بالأَعجمية ، وبعضها مشترك بين اللغات كلها " . [١] كذا قال القلقشندي ( ت ٨٢١هـ): " اعلم أن الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدد مخارجها " . [٢]

أما عدد حروف المعجم التي عليها بناء جميع الكلام فتسعة وعشرون حرفًا إن كان عربي اللسان ، ومنهم من عدها ثمانية وعشرين حرفًا وأسقط حرف (لا) لدخوله في الألف واللام كما ذكر أبوالحسن الماوردي ، وأيده زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ): " إذ قال لام ألف حرفان مكرران فلا اعتداد به " . [٣] وقيل : ليس المقصود من(لا) حرفاً مكوناً من لام وألف ، وإنما المقصود منها هو الألف اللينة وجئ باللام للتوصل بها إلى النطق بالألف . [٤] وبعض اللغات يكون حروف الكلام فيها أَحَدًا وعشرين حرفاً ، وبعضها ستة وعشرين حرفاً، وبعضها أَحَدًا وثلاثين حرفاً .[٥] فحروف السريانيين والروم والفرس والصقلب والترك من أربعة وعشرين

---

[١] الحاوي الكبير ٢٦٤/١٢ .

[٢] صبح الأعشى ٢٠/٣ .

[٣] أسنى المطالب في شرح روض الطالب ٦٢/٤ .

[٤] الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ونهجه . د/ مهدي المخزومي صـ ٩٦ .

[٥] الحاوي الكبير ٢٦٤/١٢ .

حرفاً إلى ستة وعشرين حرفاً ، وحروف العبرانيين واليونانيين والقبط الأول والهنود وغيرهم من اثنين وثلاثين إلى ستة وثلاثين . [١]

فحروف المعجم العربي عند جميع النحويين تسعة وعشرون حرفاً ، إلا عند أبي العباس المبرد ، فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفاً ويجعل أولها الباء ويدع الألف من أولها يقول : " اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً ، منها ثمانية وعشرون لها صور. والحروف السبعة جارية على الألسن ، مستدل عليها في الخط بالعلامات . فأما في المشافهة فموجودة " [٢]. فالمبرد لا يعد الهمزة حرفاً منها ؛ لأنها عنده لا تثبت على صورة واحدة وليست لها صورة مستقرة فلا يعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة " .[٣]

وعلى ذلك فهو لا ينكر الهمزة صوتاً ينطق ولكن ينكرها حرفاً يرسم بدليل أنه قد حدد مخرجها تحديداً دقيقاً كما فعل سيبويه بكونها تخرج من أقصى الحلق قال : " فمنها للحلق ثلاثة مخارج : فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة . وهي أبعد الحروف ، ويليها في البعد مخرج الهاء ، والألف هاوية هناك ... " [٤]. وهو أيضا رأي ثعلب (ت٢٩٠هـ)، والأزهري ( ت٣٧٠هـ)، وأبي حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ) . [٥] فكلهم يسقط الهمزة منها بزعم أن الهمزة لا صورة لها تعرف بها ، وإنما يستعار لها صورة غيرها ، فمرة يستعار لها صورة الألف ، ومرة صورة الواو ، ومرة صورة الياء ، ومرة لا تكون لها صورة ، وإنما لم تكن لها صورة كسائر الحروف ؛ لأن الهمزة

---

[١] صبح الأعشى ٣/٢٠ .

[٢] المقتضب ١/١٩٢ .

[٣] سر الصناعة ١/ ٤٩ .

[٤] المقتضب ١/١٩٢ .

[٥] لسان العرب١/١٨، وتهذيب اللغة١/٤٨،والزينة في الكلمات الإسلامية والعربية١/٦٤، والرعاية صـ ٧٤ .

حرف ثقيل فغيرته العرب لثقله وتصرفت فيه ما لم تتصرف في غيره من الحروف فأتت به على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام ..... [١]

وهذا الذي ذهب إليه المبرد وغيره غير مرضي عنه عند أصحاب سيبويه لأمور عدة ذكرها ابن جني في رده على المبرد . [٢]

وعلى هذا فالتسعة والعشرون مرجعها إلى الثمانية والعشرين كما قال ابن دريد . [٣] والذي يمكن الركون إليه . في هذا الباب . عد أصوات العربية ثمانية وعشرين حرفاً بإسقاط الألف اللينة لا الهمزة ؛ لأنها باختلاف صورها لا تعدو أن تكون مداً ولا تعتريها الحركات . [٤]

وإنما كانت حروف العربية التي نزل بها القرآن ثمانية وعشرين أو تسعة وعشرين حرفاً قيل : لتوسطها بين اللغات ، وقيل : لموافقتها عدد منازل القمر الثمانية والعشرين . قال علماء الحرف : " وجعلت ثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين . قالوا ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلة ويغيب تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة وهي الألف والباء والحاء المهملة والخاء المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة والفاء والقاف والكاف واللام والميم والهاء والواو والياء المثناة تحت . تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام في لفظك وكذلك في البواقي . وما يندغم منها أربعة عشر حرفاً أيضا بعدد المنازل الغائبة وهي التاء المثناة من فوق والثاء المثلثة والدال المهملة

---

[١] الرعاية صـ ٧٤ .

[٢] سر الصناعة ٤٨/١ : ٥٠ .

[٣] الجمهرة ٤١/١ .

[٤] كلام العرب – د/ حسن ظاظا صـ ١٦ .

والذال المعجمة والراء والزاي والسين المهملة والشين المعجمة والصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة والنون ، تقول التاء والثاء والدال فتخفى في لفظك وكذلك في البواقي " . [1]

وقال القلقشندي : " اعلم أنا لما كنا بحمد الله أمة وسطاً خير أمة أخرجت للناس وكان خير الأمور أوساطها وكانت حروف اللغات ما بين أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وثلاثين كما تقدم كانت حروف الكلام العربي التي بها رقم القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً في اللفظ متوسطة بين حروف اللغات وهي( ا ب ت ث ) إلى آخره وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجي ، ويسميها سيبويه والخليل حروف العربية أي حروف اللغة العربية وهي التي يتركب منها الكلام العربي ، وتسمى أيضا حروف المعجم إما لأنها مقطعة لا تفهم إلا بإضافة بعضها إلى بعض ، وإما لأن منها ما ينقط النقط المعروف أو تنقط كلها أي تشكل إذ النقط قد يكون بمعنى الشكل ، وقال بعض أهل اللغة العجم : النقط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان يقال منه : أعجمت الحروف ومعناه حروف الخط المعجم . [2]

وعلى هذا فإنه يوجد في غير العربية من الحروف ما لا يوجد في العربية، كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللغات ، ويكثر في الاستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها ، فالحاء المهملة والظاء المعجمة مما أفردت بها العرب في لغاتها واختصت بها دون غيرها من أرباب اللغات ، والعين المهملة قليلة في كلام بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم ، وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست في الفارسية ، والثاء المثلثة ليست في الرومية ولا في الفارسية ، والفاء

---

[1] صبح الأعشى ٣/٢٢ .

[2] السابق ٣/٢١ .

ليست في التركية قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : " ولذلك يقولون في فقيه : بقيه بالباء الموحدة المشربة الفيوية . [١]

وقال ابن سنان الخفاجي ( ت ٤٦٦ هـ) : " مما اختصت به لغة العرب من الحروف وليس هو في غيرها حرف الظاء ، وقال : آخرون حرف الظاء والضاد ، ولذلك قال أبوالطيب المتنبي :

وبهم فخر كل من نطق الضاد

وقد ذهب قوم إلى أن الحاء من جملة ما تفردت به لغة العرب ، وليس الأمر كذلك ؛ لأني وجدتها في اللغة السريانية كثيراً. وحكى أنها في الحبشية والعبرانية . وأما العين والصاد والطاء والتاء والقاف فقد تكلم بها غير العرب إلا أنها قليل . وقد خلت اللغة العربية من حروف توجد في غيرها من اللغات لاسيما لغة الأرمن فإنها على ما قيل ستة وثلاثون حرفاً ، إلا أنك إذا تأملتها وجدت بعض الحروف التي فيها يتشابه ببعض كثيراً على حد تشابه الظاء والضاد في لغة العرب . فإن هذين الحرفين متقاربان لأجل ذلك احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما ، ولم يتكلفوا ذلك في غيرهما من الحروف . [٢]

ويقول د/ بشر : " هناك في العربية كذلك صوت (القاف) الذي يندر أن تجد له نظيراً فيما نعرف من لغات ، باستثناء الساميات التي تعد العربية واحدة منها كما هو معروف ، وإذا اضطر من تخلو لغته منها إلى نطقها حولها إلى صوت الكاف أو ما أشبه ، حتى إنك لتسمع هذا النطق الخاطئ ذاته في نطق غير المثقفين من العرب أنفسهم عندما يحاولون استخدام كلمة فصيحة بعينها في كلامهم اللهجي العادي . أما (العين) فهو صوت لا وجود له في اللغات الأوربية ، وإذا حاول واحد

---

[١] جمهرة اللغة ٤١/١ ، وصبح الأعشى ٢١/٣ .

[٢] جمهرة اللغة ٤١/١ ، وسر الفصاحة صـ ٢٠ وما بعدها .

من أصحاب هذه اللغات استخدامه انتقل إلى استخدام الهمزة بدلاً منه . ومن الطريف أن نعلم أن بعض الدارسين في الغرب يرى أنه من الأنسب أن تسمى العربية " لغة العين " بدلاً من قولنا " لغة الضاد" وهم في ذلك واهمون، لأن العين . وإن لم يوجد في اللغات الأوربية . صوت معروف مقرر في اللغات السامية . ويأتي صوت (الضاد) على قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية . وذلك أن هذا الصوت . بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة في تركيب الكلمة ودلالتها . ليس له وجود على الإطلاق في أية لغة معروفة لنا على وجه الأرض .[1] نعم ، ربما نسمع صوتاً يشبهه أو يماثله في بعض الكلمات في لغات معينة ، كما في نحو: bud وmud في اللغة الإنجليزية . ولكن هذا الذي نسمعه في مثل هذه الكلمات الإنجليزية ليس ضاداً أو قل: ليست له قيمة الضاد العربية . إن الذي نسمعه في هاتين الكلمتين ، إنما هو صوت "d" الدال ، ولكنه نطق مفخماً فأشبه ضادنا في النطق، ولكن شتان بين الصوتين في القيمة والوظيفة . فضادنا صوت مميز للمعاني ، كما يظهر ذلك مثلا عندما نقارن بين "دل" و"ضل" فهاهنا كلمتان مستقلتان . ولكل منهما معنى مختلف ، وذلك بسبب وجود الدال في الأولى والضاد في الثانية . وليس كذلك الأمر بحال في هذا الصوت المسموع في اللغة الإنجليزية في مثل ما ذكرنا من أمثلة .[2]

فالعربية إذن قد تفردت من بين اللغات بحروف لا توجد في غيرها كالحاء والضاد والظاء ، وبحروف أخرى تكثر استعمالاً فيها وتقل في غيرها كالعين المهملة

---

[1] نعني بالعربية هنا العربية الشمالية والعربية الجنوبية معا. وإذا كان هناك أثر لهذه الضاد في اللغة الحبشية، فإنما هو من قبيل التأثير والتأثر أو الاقتراض اللغوي، كما في مثل "**dahay** بمعنى الشمس والضحى" والمثال نفسه دليل هذا الاقتراض..

[2] دراسات في علم اللغة ص: ١٩٨ .

والصاد والذال والثاء والفاء ، كما قد احتفظت اللغة العربية بأصوات الحلق وأصوات الإطباق كاملة غير منقوصة على حين تقل أصوات المجموعتين في بقية اللغات السامية ، ولا توجدان في اللغات الأوربية . [١] كما خلت العربية من حروف توجد في غيرها من اللغات .

هذا عن الحروف التي لها صور أو رموز كتابية في الخط العربي أو الأبجدية العربية وتسمى بالحروف الأصلية . وإنما سميت أصلية ؛ لوجودها في ألسنة جميع قبائل العرب ولإمكان الاستغناء بها عما عداها . [٢] وإلا فإن للعربية حروفاً أخرى كثيرة غير ذلك هي فروع عنها ولا توجد إلا في لسان بعض القبائل ، ومواضع استعمالهم لها قليلة بحيث إذا تجاوزالناطق بها هذه المواضع عد لاحنا . وهذه الحروف تظهر في اللفظ دون الكتابة ، وهي على نوعين مستحسنة ومستقبحة تبلغ بها الحروف العربية اثنين وأربعين حرفاً عند بعضهم ، وسبعة وأربعين حرفاً عند بعض آخر ولا يوجد ذلك في لغة أمة من الأمم . وهذه الحروف تظهر عند الأداء أو الإلقاء ولا تبين أو تتضح إلا بالمشافهة . فمنها ما يجوز استعماله في لغة القرآن الكريم عند أدائه نطقاً صحيحاً مجوداً ويؤخذ بالتلقي عن العلماء المجودين أو مشايخ القراء العالمين بكيفية أدائها أداءً صحيحاً يبعدها عن اللحن ، ومنها ما هو غير مستحسن في لغة القرآن الكريم ولا يجوز أن يقرأ به ولا هو أيضاً مستحسن في لغة من ترتضى عربيته ، وإنما هي تأديات لهجية لعلها نتجت عن اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم .

وكان سيبويه ـ رحمه الله ـ هو أول من قسم حروف العربية إلى قسمين هما : حروف أصلية ، وحروف فرعية . وذلك بحسه الصوتي المرهف وتذوقه لحروف

---

[١] انظر: علم اللغة العربية ـ د/ محمود فهمى حجازى صـ ١٣٩ وما بعدها .

[٢] حياة اللغة العربية – حفني ناصف صـ١٦ .

العربية حرفاً حرفاً ، ووقوفه على طرائق أدائها وفن إلقائها وكيفية تأديتها على لسان أهلها المتقنين لها إذ يقول : " هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا.... وتكون خمسةً وثلاثين حرفاً بحروفٍ هن فروعٌ وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرةً يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار.... وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته و لا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر .... وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة " . [١]

إلا أن الذي يلاحظ على كلام سيبويه أنه قد عد الألف التي تمال إمالة شديدة ، وألف التفخيم من الحروف المستحسنة وهما في الأصل حركتان وليسا حرفين ، وعلى هذا تكون الحروف المستحسنة ثلاثة وثلاثين حرفاً لا خمسة وثلاثين . وقد تبع سيبويه في هذا التقسيم لحروف العربية كثير ممن جاء بعده كـ المبرد ، وابن جني ، وابن سنان الخفاجي ، والقلقشندي من علماء اللغة [٢] . ومن علماء التجويد مكي بن أبي طالب ( ت ٤٣٧هـ) [٣] ومنهم أبوالعلاء الهمذاني العطار (ت٥٦٩هـ) ، والمرعشي ( ت١١٥٠هـ) كما ذكر عنهم أحد الباحثين المحدثين . [٤] غير أن بعض علماء التجويد قد زاد حروفاً أخرى لم يذكرها سيبويه وهي من الحروف الفرعية حتى بلغ بها بعضهم اثنين وخمسين حرفاً أي بزيادة

---

[١] الكتاب ٤/٤٣١ ، ٤٣٢ .

[٢] ينظر : المقتضب ١/١٩٤ ، وسر صناعة الإعراب١/٥٣ – ٥٤، وسر الفصاحة ص ٢٩ ، وصبح الأعشى ١/١٩٧ ، و ٣/٢٣ .

[٣] ينظر : الرعاية صـ٨٥ وما بعدها .

[٤] ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ١٧٢ . ١٧٤ .

عشرة أحرف على ما ذكره سيبويه ، وأدركوا ـ أيضاً ـ أنها لا تدرك إلا بالمشافهة . (١)

والمقصود بالحرف الفرعي هو : الصوت الأصلي الذي تتغير صفة من صفاته الصوتية أو ينتقل مخرجه إلى مخرج صوت مجاور له . (٢) وقيل المراد بالفروع: حروف ترددت بين مخرجين ، وتولدت من حرفين . (٣) ووجه تفرع هذه الحروف أنها متولدة من امتزاج الحرفين الأصليين . (٤)

وذلك التغير ناتج عن واحد من ثلاثة أسباب هي :

١ ـ المجاورة مثل الصاد التي كالزاي في نحو ( مصدر) ، والشين التي كالجيم في ( أشدق ) فقد لحق الجهر كلا من الصاد والشين المهموستين لمجاورة الدال المجهورة .

٢ ـ لغات القبائل مثل : همزة بين بين ، والإمالة ، وألف التفخيم .

٣ ـ اللكنة الأعجمية مثل : الطاء التي كالتاء ، والباء التي كالفاء .

وأهم هذه الحروف الفرعية المستحسنة والتي هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم أو أبيح للعرب أن يقرؤه بها ما يلي :

١. النون الخفيفة : ويقصد بها النون الخفية ؛ لأن ثمة فرقاً بين النون الخفيفة والنون الخفية ، إذ الأولى هي إحدى نوني التوكيد ، أما الثانية فهي نون الإخفاء ؛ لأنها تخفى في اللفظ إذا جاء بعدها حروف من حروف الإخفاء وعددها خمسة عشر حرفا هي : ( ت ، ث ، ج ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ،

---

(١) السابق نفسه .

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ١٧٢ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) جهد المقل للمرعشي صـ ١٢١ .

ص ، ض ، ط ، ظ ، ف ، ق ، ك ) سواء أكان ذلك الجوار في كلمة واحدة أم في كلمتين . وقد جمعها بعضهم في أول كلمات البيت التالي :

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

وهنا نجد النون الساكنة تتعرض للاندماج فيما بعدهما مع بقية حروف المعجم . إذ تفقد النون الساكنة أكثر صفاتها الفارقة وتحتفظ ببعضها إذا وليها حرف من هذه الحروف .

٢. الهمزة التي هي بين بين : وهي الهمزة المتحركة الواقعة بعد الألف ، وتنطق عندهم صوتا بين الألف وبين صوت حركتها ، ويجعلون حركة الهمزة سهلة بحيث تبدو ساكنة ، فينطقون بصوت يسمع بين الهمزة والألف إن كانت مفتوحة ، وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة ، وبينها وبين الواو إن كانت مضمومة .

٣. الصاد التي تكون كالزاي : وهي صاد مجهورة مفخمة تشبه نطق العامة في مصر للظاء في كلمة " ظالم" . [١] وهي التي تسمى المضارعة بين الزاي والصاد ، نحو (مصدر) إذا لم تجعلها زايا خالصة و لا صاداً خالصة . وقد تحدث عنها سيبويه في (باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه) فقال: " فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو : مصدر وأصدر والتصدير ؛ لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في (افتعل) فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرت لك ، ولم تدغم الدال فيها ولم تبدل ؛ لأنها ليست بمنزلة اصطبر وهي من نفس الحرف فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف

[١] اللغة معناها ومبناها صـ ٥٤ .

الذي هو من نفس الحرف من باب مددت فجعلوا الأول تابعاً للآخر فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي ؛ لأنها مجهورة غير مطبقة ، ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق كما كرهوا ذلك فيما ذكرت لك من قبل هذا ". [١] وهذه الصاد يقل همسها يقول ابن جني : " وأما الصاد التي كالزاي فهي التي يقل همسها قليلا ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي " . [٢]

٤. الشين التي كالجيم : يقول عنها ابن جني : " وأما الشين التي كالجيم فهي الشين التي يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم " [٣] وهي لغة لبعض العرب يبدلون من كاف المؤنث شينا يخالط لفظها لفظ الجيم . قال ابن دريد : يقولون في غلامك : غلامش . يجعلون الكاف بين الشين والجيم ، ومنهم من يجعلها شينا خالصة . [٤] وقيل : إنها خاصة بالشين المجاورة لصوت الدال في نحو : أشدق و مشدود وسواهما لدواعي المماثلة . [٥]

وهذا الحرف ـ الشين التي كالجيم ـ قلما يقرأ به ؛ لأنه لم يرد به أثر يعتمد عليه .

وإنما كانت هذه الحروف مستحسنة لما يفاد بالامتزاج من تسهيل اللفظ وتحسينه في المسموع . [٦]

---

[١] الكتاب ٤/٤٧٧ ، ٤٧٨ .

[٢] سر الصناعة ١/٥٠ .

[٣] السابق ١/ ٥٠ .

[٤] الرعاية صـ ٨٨ .

[٥] في البحث الصوتي عند العرب د/ خليل إبراهيم العطية صـ ٣٣ .

[٦] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ١٧٢ .

أما الحروف الفرعية غير المستحسنة أو التي لا يجوز أن يقرأ بها في القرآن الكريم ـ لما فيها من لكنة أعجمية ثقيلة وعثرة النطق على اللسان ولا يتكلم بها العرب إلا عند الضرورة كما ذكر ابن دريد في قوله : " حروف لا يتكلم بها العرب إلا ضرورة ، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها " . [١] وهي التي أشار إليها سيبويه سابقا وإن لم يحدد بالنسبة لها ما إذا كانت قاصرة على الكلمات المعرَّبة من اللغات الأجنبية دون الكلمات الأصيلة في العربية ، أو أنها كانت توجد في الكلمات الأصيلة كذلك ، ولم يذكر سيبويه أيضا ما إذا كانت هذه الأصوات لحنا مما أصاب ألسنة العرب بسبب مخالطتهم الموالي ، أو أنها وردت على ألسنة الموالي فقط [٢] ـ فأهمها ما يلي :

١. الكاف التي بين الجيم والكاف نحو : كلهم عندك . قال ابن عصفور : " إن الفعل الماضي " كمل" يصير عند النطق على طريقة هذ الكاف "جمل" ، ولكن التمثيل الخطَّي بصورة الجيم غير دقيق ؛ لأن الجيم مجهورة ، وهذا الصوت من أصوات الكاف لم يفقد همسه وإن أصبح معطشا كتعطيش الجيم ، وهذا الصوت هو الذي يصفه النحاة باصطلاح الكشكشة ، وهو شبيه لما في نطق العراقيين لكلمة " كيف ". [٣]

٢. الجيم التي كالكاف : يقولون في جمل : كمل ، وفى رجل : ركل ، وهى فاشية في أهل البحرين ، وهما جميعا شئ واحد ، إلا أن أصل أحدهما الجيم وأصل الاخر الكاف . [٤]

---

[١] الجمهرة ٤٢/١ .

[٢] اللغة معناها ومبناها صـ ٥٤ .

[٣] المقرب ٢٢٦/١ .

[٤] سر الفصاحة صـ ٢٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢٥٧/٣ .

٣. **الجيم التي كالشين** : وإنما تكون كذلك إذا سكنت وبعدها دال أو تاء نحو : اجتمعوا وأجدر . وهي أشبه ما تكون بالجيم التي نسمعها من أبناء الشام فهي جيم شديدة التعطيش واضحة الاحتكاك والتفشي فهي تبدو في بعض الكلمات كما لو كانت شينا ؛ نظرا لتفشيها الذي يختلف عن تفشي الجيم الفصحى ، فهي جيم اتسع مخرجها شيئا ما عما هي عليه في الجيم الفصحى ، ولم يلتق فيها عضوا النطق حتى إن الهواء لم يحتجز معها مع احتفاظها بالجهر. فهي تختلف عن الشين بهذه الصفة ، وتفشيها أقل من تفشي الشين . [١] كما أنها قد فقدت جزءً من جهرها ؛ لذا يقول مكي بن أبي طالب : " إذا سكنت الجيم وأتت بعدها تاء وجب أن يتحفظ القارئ بإخراج الجيم من موضعها وإعطائها حقها ، وإن لم نفعل ذلك سارع اللفظ إلى أن يخالط لفظ الجيم لفظ الشين وذلك لبعد ما بين الجيم والتاء في المخرج والصفة والقوة والضعف... و كذلك يجب أن تبين الجيم الساكنة إذا أتت بعدها دال ؛ لأن الدال أخت التاء في المخرج نحو قوله:(من الأجداث) و(من وجدكم) وإن لم يتحفظ بذلك خالطها لفظ الشين للعلة التي ذكرنا . [٢]

يلاحظ . هنا . أن سيبويه قد عد الشين التي كالجيم في الحروف المستحسنة ، وذكر الجيم التى كالشين في المستهجنة ، وكلتاهما شئ واحد ، فلم عد الأولى من الحروف المستحسنة والثانية من الحروف غير المستحسنة ؟ يقول الرضي مبينا العلة في ذلك : " إنما استحسن الشين المشربة صوت الجيم ؛ لأنه إنما يفعل ذلك بها إذا كانت الشين ساكنة قبل الدال ، والدال مجهورة شديدة والشين

---

[١] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر صـ ١١٦ .

[٢] الرعاية صـ ١٥١ .

مهموسة رخوة تنافى جوهر الدال ، ولاسيما إذا كانت ساكنة ؛ لأن الحركة تخرج الحرف عن جوهره فتشرب الشين صوت الجيم التى هي مجهورة شديدة كالدال لتناسب الصوت فلا جرم استحسن ، وإنما استهجن الجيم التى كالشين ؛ لأنها إنما يفعل ذلك بها إذا سكنت وبعدها دال أو تاء ، نحو اجتمعوا وأجدر، وليس بين الجيم والدال ، ولا بينها وبين التاء تباين ، بل هما شديدتان ، لكن الطبع ربما يميل لاجتماع الشديدين إلى السلاسة واللين فيشرب الجيم ما يقاربه في المخرج وهو الشين ، فالفرار من المتنافيين مستحسن ، والفرار من المثلين مستهجن ، فصار الحرف الواحد مستحسنا في موضع ، ومستهجنا في موضع آخر بحسب موقعه " . (١)

٤. **الضاد الضعيفة** : وهي التي تقرب من الذال ، وتتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف ؛ لأنها من حافة اللسان مطبقةٌ ؛ لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه وإنما جاز هذا فيها ؛ لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين وهي أخف ؛ لأنها من حافة اللسان ، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل حين تخالط حروف اللسان ، فسهل تحويلها إلى الأيسر أنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن.(٢) قال السيرافى: " إنها لغة قوم ليس في لغتهم ضاد ، فإذا احتاجوا إلى التكلم بها في العربية اعتضلت عليهم ، فربما أخرجوها ظاءً ، لإخراجهم إياها من طرف اللسان وأطراف الثنايا ، وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٢، ٤٣٣ .

يتأتَّ لهم فخرجت بين الضاد والظاء " [١] وقد مثل لها بعضهم بقولهم في أثرد : أضرد [٢]. فبعض العرب حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء متلوًّا بحرف مفخم مجهور يحدث في نطق الثاء شيء من عدوى التفخيم والجهر الضعيفة ، فتصير الثاء بذلك ضادًا ضعيفة . [٣]

٥. الصاد التي كالسين : كما في قولهم : صدق . فالصاد والسين تشتركان في المخرج وفي الصفات كلها إلا التفخيم والترقيق ، فالصاد مفخَّمة والسين مرقَّقة ، وهذا هو الفارق الوحيد بينهما ، ومن ثَمَّ فإن إحداهما إذا أشبهت الأخرى فلا بُدَّ أن يكون معنى ذلك مشاركتها في الصفة الوحيدة التي فارقتها من جهتها ، فإذا أشبهت الصاد السين فإن معنى ذلك أن تترك الصاد تفخيمها إلى ترقيق السين . [٤]

٦. الطاء التي كالتاء : والطاء التى كالتاء تكون في كلام عجم أهل المشرق كثيرا ؛ لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة فإذا نطقوا بها تكلفوا ما ليس في لغتهم ، فنطقوا بشئ بين الطاء والتاء " . [٥]

٧. الظاء التي كالثاء : كقولهم : ظلم . والنظر إلى الفارق بين الظاء والثاء يوضح أنهما يختلفان من جهتين ؛ أولاهما : الجهر والهمس ، والثانية : التفخيم والترقيق . فإذا أشبهت الظاء الثاء فسيكون معنى ذلك أنها فقدت إما الجهر وإما التفخيم وإما هما معًا . ولقد جاء ابن عصفور بمثال لهذا الصوت فقال : إن كلمة " ظالم" تصير " ثالم " ، ونحن قادرون على أن

---

[١] شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٦/٣ .

[٢] سر الفصاحة صـ ٢٩ ، وأسرار العربية صـ ٣٥٩ .

[٣] اللغة معناها ومبناها صـ ٥٥ .

[٤] السابق نفسه .

[٥] شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٦/٣ .

نفهم من مثاله هذا أن الظاء فقدت جهرها وهمست كهمس الثاء ، أما التفخيم فمن الصعب في هذا المثال أن نقرر أن الظاء فقدته أو احتفظت به ؛ لأن الكتابة العربية لا تصطنع رموزًا للدلالة على التفخيم والترقيق ، ومن ثَمَّ لا نستطيع الجزم بأن "ثالم" السابق ذكرها مفخَّمة "الظاء" أو مرققتها . [١]

٨. الباء التي كالفاء : كقولهم فرند . وهي باء مهموسة مثل صوت (P) في اللغات الأجنبية ، والمعروف أن العرب كانوا يعربون هذه الباء بقلبها فاءا، ومن ثَمَّ أصبحت كلمة " برزده " عند تعريبها : " فرزدق " ،وكلمة "بالوزه " : فالوذج [٢] قال السيرافى : " هي كثيرة في لغة العجم وهى على ضربين : أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء ، والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء ، وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء المخلصين ، قال : وأظن أن العرب إنما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إياهم . [٣]

وبالنظر أو التأمل في هذه الحروف الفرعية المستحسنة والمستهجنة ندرك أنها تتخذ في نطقها حركات فسيولوجية مختلفة عما هي عليه فى النطق بالحرف الصريح أو الأصلي ، وينتج هذا الاختلاف الفسيولوجي إما من أن الوترين الصوتيين حال النطق بها يكونان في صورة مغايرة لما هما عليه في النطق بالحرف الأصلي إذ نجد في هذه الحروف حروفاً قد فقدت جزءً من جهرها نتيجة ضعف اهتزاز الوترين الصوتيين وذلك كما في الجيم التي كالشين والباء التي كالفاء ، أو يضعف همسها فيؤدى الحرف بصورة فيه شيئ من الجهر مثل الصاد التي كالزاي

---

[١] اللغة معناها ومبناها صـ ٥٦ .

[٢] السابق نفسه .

[٣] شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٦/٣

والشين التي كالجيم ، والجيم التي كالكاف أى الجيم القاهرية وما هي إلا كاف مجهورة ، والظاء التي كالثاء فإنها تفقد كثيراً من جهرها وتنطق بصورة يقربها من الثاء المهموسة .

وقد ينتج هذا التغير الفسيولوجي عن طريق تغير في حجرة الرنين أو المرنات الصوتية الخلفية بحيث تصبح أكثر اتساعاً فيفقد الحرف جزءً من تفخيمه وذلك كما في الضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء .

كما قد ينتج هذا التغير الفسيولوجي عن طريق تغير في مخرج الحرف أو في شكله فينطق الحرف بصورة هي أقرب إلى النطق بحرف آخر وذلك نحو الجيم التي كالشين إذ هي جيم يتسع مخرجها شيئاً ما عما هي عليه في الجيم الفصحى ، ولم يلتق فيها عضوا النطق حتى إن الهواء لم يحتجز معها مع احتفاظها بشيئ من الجهر فهي تختلف عن الشين بهذه الصفة ، وتفشيها أقل من تفشي الشين . ومن ذلك أيضا : الجيم التي كالزاي ، والسين التي كالزاي وهما من الحروف الفرعية التي زادها بعض العلماء وإن لم أتطرق إليها اكتفاءً بما ذكره سيبويه منها . [1] ففي الجيم التي كالزاي تكتسب الجيم صفة الصفير ولا يكون ذلك إلا بتغير في مخرجها . ومما ينطق بتغير في شكل المخرج الشين التي كالجيم فهي كما ذكرت ـ سابقا ـ عن ابن جني الشين التي يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم .

ومن هنا ندرك أن الحروف الأصلية هى الثمانية والعشرون أو التسعة والعشرون وهي التي لها صور أو رموز كتابية في الخط العربي ، أما الحروف الفرعية فهي تأديات تظهر في اللفظ دون الخط وهي في معظمها تأديات حرة لا ترتبط بالسياق الصوتي أو المجاورة الصوتية ، وبعض منها تأديات مقيدة تفرضها المجاورة الصوتية لحروف العربية كـ الراء المفخمة ولا تكون كذلك إلا إذا كانت

[1] ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ١٧٣ ، ١٧٤ .

مضمومة أو مفتوحة بغض النظر عما يسبقها أو يلحقها من الحروف ، أو كانت ساكنة وقبلها حرف مضموم أو مفتوح ، أو كانت ساكنة بعد كسر عارض وذلك إذا جاءت بعد همزة الوصل مطلقاً ، أو كانت ساكنة وبعدها حرف استعلاء غير مكسور في كلمة واحدة حتى ولو كانت مكسورة كسرًا أصلياً ، أو كانت ساكنة للوقف وقبلها ساكن قبله فتح أو ضم . [١] وكـ اللام التي تكون مرققة تارة ومفخمة أخرى ولكل منهما سياق صوتي محدد ، و كـ السين التي تصبح صادا إذا جاورت الطاء .

وأساس تقسيم الحروف الفرعية إلى مستحسنة ومستقبحة هو كثرة الاستخدام وقلته ، فما كثر استخدامه منها في لغة من ترتضى عربيته كان مستحسناً ، وما قل استخدامه منها كان مستقبحاً . [٢]

ووجه تفرع هذه الحروف عند اللغويين العرب أنها متولدة من امتزاج الحرفين الأصليين كما ذكر ، عدا النون الخفية فوجه تفرعها في الأصل أنها صفة للنون المظهرة . [٣] فمخرج كل حرف من هذه الحروف متوسط بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه . [٤]

أما وقد انتهينا من بيان عدد الحروف التي قد اشتملت عليها لغة القرآن الكريم وهي الخمسة والثلاثون فإنه يمكنني أن أذكر بما قاله أبو حاتم الرازي : " إن لغة العرب هي اللغة التامة الحروف الكاملة الألفاظ ، لم ينقص منها شيئ من الحروف فيشينها النقصان ، ولم يزد فيها شيئ فيعيبها الزيادة ، وسائر اللغات فيها زيادة حروف مولدة ، وينقص عنها حروف أصلية . ونعتبر من ذلك باللغة الفارسية

---

[١] انظر: النشر ٢/١٠٩،١٠٨ ، والإتحاف صـ ١٢٥ وما بعدها ، ونهاية القول المفيد صـ ٩٥ وما بعدها ، والأصوات اللغوية صـ٦٦ ، وترتيل القرآن صـ ٧٧ .

[٢] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ١٧٣ .

[٣] جهد المقل صـ ١٢١ .

[٤] الرعاية صـ ٨٨ .

؛ لأنا طبعنا عليها ونشأنا فيها ، على أنا قد تدبرنا سائر اللغات فوجدنا فيها مثل ما ذكرنا من الزيادة والنقصان الذي هو العيب البين والشين الظاهر " . [١]

**ثانياً : ـ ما كثر استعماله من الحروف الأصول في القرآن الكريم وما قل :**

اشتمل القرآن الكريم على (١١٤) سورة عند أكثر العلماء ؛ لأن منهم من عدها أقل من ذلك ، ومنهم من عدها أكثر من ذلك . قال الزركشي: " اعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني أولها الفاتحة وآخرها الناس ، وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة ، ويرده تسمية النبي ﷺ كلاً منهما ، وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذتان لشبهة الرقية ، وجوابه رجوعه إليهم وما كتب الكل ، وفي مصحف أبي ست عشرة وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين ولا دليل فيه لموافقتهم وهو دعاء كتب بعد الختمة " . [٢]

كما اختلف العلماء في عد الآي والكلم والحروف . فأكثرهم على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية . ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة آية ، وقيل : مائتان وتسع عشرة آية ، وقيل : مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية ، وقيل : مائتان وست وثلاثون . [٣]

أما كلماته وحروفه فقد جاء في البرهان : " قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ: ... بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة فجمعهم

---

[١] الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية ٦٤/١ .

[٢] البرهان ٢٥١/١-٢٥٢

[٣] السابق ٢٤٩/١ .

واختار منهم الحسن البصري وأبا العالية ونصر بن عاصم وعاصماً الجحدري ومالك بن دينار. رحمة الله عليهم . وقال : عدوا حروف القرآن فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفاً . وقال الفضيل بن شاذان عن عطاء ابن يسار : كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة . وقال عبد الله بن جبير عن مجاهد : حروفه ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف . وقال سلام أبو محمد الحماني : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : فحسبناه فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً .[1]

أما سبب اختلاف العلماء في عد الآي والكلم والحروف فقد قيل : إن النبي ـ ﷺ ـ كان يقف على رءوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع أنها ليست فاصلة . وأيضا البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها . وسبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ورسم واعتبار كل منها جائز وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز.[2]

وعلى هذا فالقرآن الكريم يشتمل على أكثر من ثلاثمائة ألف حرف على الأرجح ، وكلها تعود إلى التسعة والعشرين التي تحدثنا عنها سابقا ، وقد وردت جميعها في آية واحدة تجمع حروف المعجم هي قوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّـهِ وَالَّذِينَ

---

[1] البرهان ١/٢٤٩ .

[2] الاتقان ١ /٢٤٢ ، والبرهان ١/٢٥٢ – ٢٥٣

مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ... ﴾ .[1] إلا أن هذه الحروف لم تكن على درجة واحدة في الاستعمال في القرآن الكريم ، وإ نما كان بعضها أكثر وروداً أو استعمالاً فيه من بعض .

وقد أورد د/ إبراهيم أنيس دراسة إحصائية أجراها على أصوات القرآن الكريم ، تعطينا فكرة عن نسبة استخدام كل صوت ، وتقفنا على أكثر الأصوات أو أقلها دوراناً حيث بين فيها أن دوران الأصوات في القرآن الكريم وفقاً لهذه الإحصائية كان على النحو التالي مع ملاحظة أن الأرقام التي ذكرها تدل على عدد مرات ورود الصوت في كلّ ألف من الأصوات الساكنة : [2]

| الصوت | وروده فى الألف | الصوت | وروده فى الألف |
|---|---|---|---|
| اللام | ١٢٧ | السين | ٢٠ |
| الميم | ١٢٤ | الدال | ٢٠ |
| النون | ١١٢ | الذال | ١٨ |
| الهمزة | ٧٢ | الجيم | 16 |
| الهاء | ٥٦ | الحاء | 15 |
| الواو | ٥٢ | الخاء | 10 |

[1] سورة الفتح من الآية (٢٩) .

[2] الأصوات اللغوية صـ ٢٣٩ – ٢٤٠ ، وأطلس أصوات اللغة العربية ص١٢٠ .

| | | | |
|---|---|---|---|
| التاء | ٥٠ | الصاد | 8 |
| الياء | ٤٥ | الشين | 7 |
| الباء | ٤٣ | الضاد | 6 |
| الكاف | ٤١ | الغين | 5 |
| الراء | ٣٨ | الثاء | 5 |
| الفاء | ٣٨ | الزاي | 4 |
| العين | ٣٧ | الطاء | 4 |
| القاف | ٢٣ | الظاء | 3 |

**فمن الملاحظ أن ثمة تفاوتاً في نسبة دوران الحروف الأصول في القرآن الكريم ، فبعض هذه الحروف يقلّ وروده كثيراً كالظاء ، في حين يزداد ورود حروف أخرى كاللام والميم والنون .**

**واستعمال ما كثر استعماله من هذه الحروف على كثرته في القرآن الكريم، وما قل منها على قلته فيه إنما هو كذلك . أيضا . في كلام العرب المنثور والمنظوم وفي معجماتهم القديمة وإن اختلفا قليلا . قال ابن دريد : " واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقلّ ما يستعملون لثقلها على ألسنتهم : الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم الغين ثم النون ثم**

اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم ، فأخف هذه الحروف كلّها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى ".[1]

فابن دريد ذكر الأحرف كثيرة الاستعمال المتمثلة في : الواو والياء والهمزة ، ومن ثم رّتب مجموعة أخرى من حروف الهجاء ترتيباً تصاعدياً من أقلها استعمالاً إلى أكثرها ، لكنه أغفل ذكر بعض الأصوات وهي : التاء والجيم والحاء والدال والزاي والسين والصاد والضاد والطاء والفاء والكاف والهاء .

ومن الملاحظ ـ أيضا ـ أنّه عد الهمزة مع الأصوات كثيرة الدوران ، بالرغم من كونها صوتاً ثقيلاً يجري كالتهوع ، ولم يعلل لكثرة استعمالها عند العرب وإن كان بعضهم يتخلص منها بتخفيفها ، لكن ابن جني ـ رحمه الله ـ قد علل لكثرة استعمالها في كلام العرب بمجاورتها في المخرج لأخف الحروف وهو الألف ، وكثرة التلعب بها في كلامهم إعلالاً وقلباً ، وأنه يحسن الفصل بها بين الحروف المتقاربة في المخرج والتي يعد المزج بينها نوعاً من التنافر قال: " اعلم أن حروف المعجم تنقسم على ضربين ضرب خفيف وضرب ثقيل وتختلف أحوال الخفيف منهما فيكون بعضه أخف من بعض ، وتختلف أيضا أحوال الثقيل منهما فيكون بعضه أثقل من بعض . وفي الجملة فأخف الحروف عندهم وأقلها كلفة عليهم الحروف التي زادوها على أصول كلامهم وتلك الحروف العشرة المسماة حروف الزيادة وهي الألف والياء والواو والهمزة والميم والنون والتاء والهاء والسين واللام ويجمعها في اللفظ قولك : اليوم تنساه ، وإن شئت قلت : سألتمونيها ، وإن شئت قلت : هويت السمان . فإن قلت : ألست تعلم أن الهمزة مستثقلة عندهم ؛ ولذلك ما دخلها الحذف والبدل في كثير من الكلام فلم ذكرتها في الحروف الخفيفة ؟

---

[1] الجمهرة ١/ ٥٠ ، والمزهر ١/١٥٥ .

فالجواب : أن الهمزة وإن كانت كذلك فإنك قادر على إعلالها وقلبها والتلعب بها تارة كذا وتارة كذا ، وهذا لا يمكنك في الجيم ولا في القاف ولا في غيرهما من الحروف الصحاح ، وأيضا فإن مخرجها مجاور لمخرج أخف الحروف وهي الألف ، وأيضا فإنها لتباعدها من الحروف ما يستروح إلى مزج المتقارب مما بعد عنها بها ، ألا ترى أنك تقول : دأب فتفصل بين الدال والباء بالهمزة فيكون ذلك أحسن من فصلك بينهما بالفاء لو جاء عنهم نحو: دفب وتقول: نأل فتفصل بها بين النون واللام ولو فصل بينهما بالراء فقيل نرل لم يكن حسنا ، فالهمزة وإن ثقلت في بعض الأحوال وتباعدت ففيها من المنفعة في الفصل ما ذكرت لك هذا مع ما وصفناه من مجاورتها للألف ، وأنها مما يمكن إعلاله وتقليبه والتلعب به " [1].

ومما يدل على أن حروف العربية ليست على درجة واحدة في الاستعمال في كلام العرب أن من العلماء من وزع حروف العربية على طبقات أو مجموعات عدة ترتبط في جوهرها بكثرة الاستعمال وقلته ، فقسمها بعضهم إلى خمس مجموعات إذ أوردها محمد بن الحسن الجرهمي على النحو التالي : أكثرها وقوعا : (الألف ، واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والواو ، والياء ). ويلي ذلك : (الباء ، والدال ، والراء ، والفاء ، والقاف ، والكاف) . ويليه : (التاء ، والجيم ، والحاء ، والسين ، والعين . ويليه : الصاد ، والشين ، والطاء) . ويليه : (الثاء ، والخاء ، والذال ، والزاي ، والضاد ، والظاء ، والغين) .(٢) ومنهم من قسمها إلى ثلاث طبقات على نحو ما نجده في مقالتين مجهولتي المؤلف وكلتاهما في طرق حل المترجم حيث رّتبت الأصوات على النحو التالي : الأصوات التي تقع كثيرة في الكلام على الترتيب : ( ا ، ل ، م ، ي ، ن ، و ، هـ) الأصوات التي تقع متوسطة في الكلام على الترتيب

---

[1] سر الصناعة ٨١١/٢ –٨١٢ .

[2] علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب2 /384 .

( ر، ع ، ف ، ب ، ت ، ك ، د ، س ، ق،ح ، ج ، ص ) . الأصوات التي تقع قليلة في الكلام على الترتيب : ( ذ ، خ ، ش ، ث، ز ، ط ، غ ، ظ ، ض ) [١].

وهذا التقسيم قريب مما أورده ابن عدلان حول مراتب الأصوات إذ جعلها في ثلاث مجموعات قال : " اعلم أن المراتب إما كثيرة وهي سبعة يجمعه : (الموهين)... وإما متوسطة وهي أحد عشر يجمعها(رعفت بكدس قحج) ... والقليلة عشرة يجمعها بيت من الشعر كل حرف منها في أول كل كلمة منه هو

ظلم غرا طاب زورا ثاويا خوف ضَنى شبت صبا ذاويا [٢].

يلاحظ على ابن عدلان في ترتيبه للحروف داخل المجموعات أنه قد رتب الحروف كثيرة الدوران ومتوسطة الدوران ترتيباً تنازلياً من أكثرها دوراناً إلى أقلها ، في حين رتب الحروف قليلة الدوران ترتيباً تصاعديًا من أقلها دورانًا وهو الظاء إلى أكثرها وهو الذال . أما ابن منظور فكان ترتيبه قريباً من ترتيب ابن عدلان وصاحب المقالتين ، إذ قسم الأصوات إلى ثلاث مجموعات على النحو الآتي : ما يكثر استعماله وهو :( ا ، ل ، م ، هـ ، و، ي ، ن ) . ما تكراره دون المجموعة الأولى أي متوسطة الاستعمال وهي : ( ر، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ،ح ، ج ) . قليلة الاستعمال وهي : ( ظ ، غ ، ط ، ز، ث ، خ ، ض ،ش ، ص ، ذ ) وهو نفس ترتيب ابن عدلان [٣].

وفي الجدول الآتي عرض لنتائج إحصاء كل من ابن عدلان ، وصاحب المقالتين ، وابن منظور ، والجرهمي مجتمعة حتى يتسنى لنا مقارنتها .

| طبقات الحروف | ابن عدلان | صاحب المقالتين | ابن منظور | الجرهمي |
|---|---|---|---|---|
| الطبقة الأولى | ا ل م و هـ ي ن | ا ل م ي ن و هـ | ا ل م هـ و ي ن | ا ل م ن هـ و ي |

[١] السابق ٢/ ٨٣ .

[٢] علم التعمية ٢٧٤/١

[٣] لسان العرب ٣٤/١

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| (الحروف الكثيرة) | | | | |
| الطبقة الثانية (الحروف المتوسطة) | ر ع ف ت ب ك د س ق ح ج | رع ف ت ب ك د س ق ح ج ص | رع ف ت ب ك د س ق ح ج | ب د ر ف ق ك |
| الطبقة الثالثة (الحروف القليلة) | ظ غ ط ز ث خ ض ش ص ذ | ذ خ ش ث ز ط غ ظ ض | ظ غ ط ز ث خ ض ش ص ذ | ت ج ح س ع |
| الطبقة الرابعة | | | | ص ش ط |
| الطبقة الخامسة | | | | ث خ ذ ز ض ظ غ |

**نلحظ في الجدول السابق أن أصوات الطبقة الأولى متشابهة عندهم جميعا وإن اختلفت قليلاً في ترتيبها داخل المجموعة . أما أصوات الطبقة الثانية فتكاد تكون واحدة عند كل من ابن عدلان ، وابن منظور، وصاحب المقالتين لولا أ ن الأخير قد جعل الصاد في الطبقة الثانية فأصبحت الثانية عنده اثني عشر حرفا بدلا من أحد عشر حرفا عند سابقيه ، أما الجرهمي فقد جعلها تشتمل على ستة أحرف فقط وذلك نظرا لتوزيعه الحروف على خمس طبقات بدلا من ثلاثة كما هو الحال عند الباقين .**

**كما نلحظ أن الطبقة الثانية عند كل من ابن عدلان ، وصاحب المقالتين ، وابن منظور، تقابل الطبقتين الثانية والثالثة لدى الجرهمي . أما الطبقة الثالثة عند ثلاثتهم فهي عشرة أحرف عند كل من ابن عدلان ، وابن منظور إذ عدا من بينها الصاد ، خلافا لصاحب المقالتين الذي جعل الصاد في الطبقة الثانية فأصبحت الطبقة الثالثة عنده مشتملة على تسعة أحرف بدلا من عشرة ، وهذه الطبقة تقابل الرابعة والخامسة عند الجرهمي .**

**كما نلحظ أن ثمة فرقاً ضئيلاً بين استعمال هذه الحروف في القرآن الكريم وبين استعمالها في كلام العرب يتمثل في : أن حرف التاء في القرآن الكريم كان**

أكثر استعمالاً من حرف الياء ، إذ ترد التاء خمسين مرة في كل ألف ، بينما ترد الياء خمساً وأربعين مرة في كل ألف منها ، خلافا لكلام العرب الذي جعلت فيه الياء من الطبقة الأولى في الاستعمال والتاء في الطبقة الثانية منه . كذلك كان استعمال حرف الذال في القرآن الكريم أكثر من استعمال الجيم والحاء والصاد ، إذ ورد حرف الذال فيه ثماني عشرة مرة في كل ألف ، أما الجيم فقد وردت ست عشرة مرة ، والحاء خمس عشرة مرة ، والصاد ثماني مرات في كل ألف ، في حين كانت الذال في كلام العرب أقل الحروف استعمالاً بعد الظاء كما ذكر ابن دريد فالحاء والجيم عدتا في الطبقة الثانية من الحروف عند كل من ابن عدلان وصاحب المقالتين وابن منظور وكذا الصاد عند صاحب المقالتين ، على حين عد جميعهم الذال في الطبقة الثالثة منها .

وعلى هذا نجد أن الحروف العربية ليست سواءً من حيث نسبة دورانها في القرآن الكريم ، ولا في كلام العرب منثورهم ومنظومهم . أيضا . بل هي مختلفة، فثمة حروف يكثر استعمالها وجريانها على الألسن ، وهي تتمثل في نوعين من الحروف أجمع العلماء على خفتها هما : الأصوات التقاربية ، والأصوات المائعة التي تضم اللام والنون والميم والراء ، إلا أن الراء تتأخر عن سابقاتها إلى المرتبة الثانية فهي تعد مع الأحرف متوسطة الدوران لتحل الهاء محلها ، في حين يقلّ استعمال أصوات أخرى لسبب ما .

أما سبب كثرة استعمال بعض الحروف فيغلب أن يكون سهولة نطق ما كثر استعماله منها . وذلك أن الأصوات التي يكثر دورانها على الألسن تنقسم إلى قسمين هما : الحركات الطويلة وهي : الفتحة الطويلة ، والضمة الطويلة ، والكسرة الطويلة ، وأنصاف الحركات وهي : الواو كما في كلمة(ولد) ، والياء كما في كلمة(يلد) . والأصوات المائعة وهي : اللام والميم والنون والراء .

أما الحركات الطويلة فتنبع سهولة نطقها من آلية انتاجها التي لا تكّلف اللسان أي جهد ، ذلك أن تيار الهواء يمر، في أثناء انتاج الحركات على نحو متتابع مستمر دون أن يتعرض لتدخل يعيقه ، أو يضيق مجراه " [١]. وهذا ما عبر عنه القدماء بقولهم : إنها " الحروف المصوتة ؛ لأن الصوت يجري فيها ، فلذا هي أكثر من جميع الحروف في كل لسان" [٢] . وهذه الأصوات تمتاز بالوضوح السمعي بل هي أقوى الأصوات من حيث درجة وضوحها السمعي .

أما أنصاف الحركات فتأتي بعد الحركات الطويلة والقصيرة من حيث الوضوح السمعي ، وهي تتوسط الحركات والصوامت الاحتكاكية من حيث مقدار التضييق الذي تتعرض له أثناء النطق ، بمعنى أن التضييق الذي يتعرض له تيار الهواء في أثناء انتاج أنصاف الحركات يكون أكثر منه لدى انتاج الحركات ، وأقل مما يحدث لدى انتاج الصوامت الاحتكاكية [٣]. أضف إلى ذلك أن الصورة المكتوبة لأنصاف الحركات: الواو والياء كما في كلمتي ( ولد ، يلد ) لا تختلف عنها في الحركات الطويلة كالواو في كلمة (درسوا) والياء في كلمة (جريء) ، لذلك فإن عدد مرات ورودهما في الكلام سيزداد ؛ لأن كلتا الصورتين ستحتسب كما لو كانتا لصوت واحد .

والأصوات المائعة وهي : اللام والنون والميم والراء ، تعد أسهل الأصوات بعد الحركات وأنصاف الحركات ، لذا فهي كثيرة الدوران في كلام الناس ، فإذا أضفنا إليها الفاء والباء كونت ما سماه القدماء أحرف الذلاقة ، التي قال عنها الخليل : " فلما

---

[١] فصول في علم الأصوات ـ محمد جواد النوري صـ ٢٤٣ .

[٢] علم التعمية ٢/٢٣٥ .

[٣] فصول في علم الأصوات صـ ٢٤٣ .

ذَلقت الحروف الستة ، ومَذل بهن اللسان ، وسهلت عليه في المنطق، كثرت في أبنية الكلام " [١].

ولعل سهولة هذه الأصوات لا تنبع من خروجها من طرف اللسان فحسب ، بل تستمدها من أمرين آخرين هما : أن هذه الحروف تشبه الحركات في أمرين هما : قوة وضوحها السمعي ، وصفة الجهر [٢]. وأن الحاجة إلى استعمال هذه الحروف أشد إليها من غيرها وهذا ما وضحه الجاحظ في قوله : " أنشدني ديسم قال : أنشدني أبو محمد اليزيدي :

وخلة اللفظ في اليآت إن فقدت كخلة اللفظ اللامات والألف

وخصلة الراء فيها غير خافية فاعرف مواقعها في القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حده علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد " [٣].

ولعل السبب في ذلك هو اشتمال هذه الحروف على صفات محسنة كالاتساع وذلك في الحركات الطويلة ، والانحراف والاستطالة كما في حرف اللام، والغنة كما في حرفي الميم والنون ، والتكرير كما في الراء . [٤]

---

[١] العين ١/٥٢ .

[٢] فصول في علم الأصوات صـ ٢٢٨ .

[٣] البيان والتبيين ١ /٢٧ .

[٤] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ٣٠٢ .

من أجل ذلك كّله كانت أصوات الحركات وأنصاف الحركات والحروف المائعة أكثر الأصوات دوراناً على الألسن ، فسهولتها ووضوحها السمعي جعلا منها حروفاً كثيرة الاستعمال .

وقد علل أحد الباحثين المحدثين لكثرة استعمال بعض الحروف في القرآن الكريم فقال : " إن الحروف التي أكثر القرآن من استعمالها هي حروف المد اللينة (الألف والواو والياء) والميم والهمزة والهاء والباء والتاء وهي حروف يتسم معظمها إذا استعملناها في مصطلحات علم التجويد بالرخاوة والاستفال والانفتاح ، ويتسم أقلها بالجهر والشدة ، إنها حروف سلسلة يساعد في أصواتها وتناغمات هذه الأصوات على إيجاد ذلك اللحن الأثيري من الموسيقا الساحرة التى نسكبها في حروف اللغة " . (١)

أما سبب قلة استعمال بعض الحروف فيرجع إلى عاملين أساسيين هما :

١. كراهة استعمالها وإن لم تكن على درجة واحدة وفي ذلك يقول ابن الأثير: " هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال وأشدها كراهية أربعة أحرف وهي : الخاء والصاد والظاء والغين ، وأما الثاء والذال والشين والطاء فإن الأمر فيهن أقرب حالا ، وهذا موضع ينبغي لصاحب الصناعة أن ينعم نظره فيه .... " (٢) .

ويجب على الناظم والناثر أن يجتنبا تأليف الكلمات من هذه الحروف ؛ لأنها لا تعذب في الفم ولا تلذ في السمع يقول ابن الأثير : " واعلم أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين ، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن

---

(١) حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات . نعيم اليافي . مجلة التراث العربي ع ١٧ صـ ١٠٤ دمشق ١٩٨٤ .

(٢) المثل السائر ١٨٢/١ .

استعمال ما لا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها ، والناظم في ذلك أشد ملامة ؛ لأنه يتعرض لأن ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتي في أكثرها بالبشع الكريه الذي يمجه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها : قِفْ بالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلاَثَا ...

وكما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينية التي مطلعها :

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ ...

وكما فعل ابن هانئ المغربي في قصيدته الخائية التي مطلعها :

سَرَى وَجَنَاحُ اللَّيْلِ أَقْتَمُ أَفْتَخُ ...

والناظم لا يعاب إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره بل يعاب إذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة ، وأما الناثر فإنه أقرب حالا من الناظم ؛ لأن غاية ما يأتي به سجعتان أو ثلاث أو أربع على حرف من هذه الأحرف ، وما يعدم في ذلك ما يروق إذا كان بهذه العدة اليسيرة . فإن كلفت أيها الشاعر أن تنظم شيئا على هذه الحروف فقل هذه الحروف هي مقاتل الفصاحة وعذري واضح في تركها ، فإن واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظا تعذب في الفم ولا تلذ في السمع ، والذي هو بهذه الصفة منها فإنما هو قليل جدا ولا يصاغ منه إلا مقاطيع أبيات من الشعر ، وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وإن صيغت جاء أكثرها بشعا كريها . (١)

٢ . ثقل وصعوبة النطق بهذه الحروف : فكما كانت السهولة سبباً في كثرة استعمال بعض الحروف ، فإن الثقل والصعوبة يشكلان . أيضاً . سبباً قوياً في قلة استخدام حروف معينة ، فالحروف قليلة الدوران تتوزع على ثلاث مجموعات باعتبار المخارج هي الأصوات الأسنانية : (الظاء ، والذال ، والثاء) . والأصوات

(١) المثل السائر ١/ ١٨١ -١٨٢

الأسنانية اللثوية : (الطاء ، والضاد ، والصاد ، والزاي) . والأصوات الطبقية : (الغين ، والخاء) .

فالأصوات الأسنانية واضحة الكلفة في نطقها ، فهي تقتضي وضع اللسان بين الأسنان مما يجهد الناطق ، وهي أصوات احتكاكية . ومن المعلوم أن الأصوات الاحتكاكية تحتاج إلى جهد أكبر من الأصوات الانفجارية ، فضلا عن ذلك فإن صوت الظاء الذي يحتل المرتبة الأخيرة غالبا من حيث الاستعمال هو صوت تنفرد اللغة العربية بوجوده فيها ، إذ ليس في شيء من الألسن ظاء غير العربية " (١) . وهو إضافة إلى مخرجه الأسناني وصفة الاحتكاك فيه ، فإنه صوت مجهور مفخم (٢) . مما يزيد من ثقله وصعوبة نطقه .

أما المجموعة الثانية فهي تضم حروفاً تنفرد بصفات تجعلها مميزة عن غيرها من الحروف الأخرى ، فالصفات المميزة لبعض الحروف من شأنها أن تُكسب الحرف أحد أمرين : الخفة أو الثقل ، فإذا ساهمت الصفة في إكساب الحرف سهولة في مخرجه كانت صفة خفة وسهولة كصفة الميوعة ، أما إذا أكسبت الصفة الحرف ثقلاً وصعوبة في النطق ، وذلك بتكليف اللسان جهداً إضافياً ، فهي صفة ثقل وصعوبة ، فالطاء والضاد والصاد والظاء تمتاز بصفة الإطباق ، التي تُلزم مؤخر اللسان الارتفاع أثناء النطق بها نحو الطبق ، والتحرك نحو الجدار الخلفي للحلق (٣). مما يعني أن هذه الصفة تكلفه جهداً إضافياً ، وهذا يجعل الحروف التي تحمل هذه الصفة حروفًا ثقيلة ، وبما أنها ثقيلة فمن الطبيعي إذن أن تقلّ في الكلام.

---

(١) العين ٥٣/١ .

(٢) فصول في علم الأصوات صـ ٢٣٩ .

(٣) فصول في علم الأصوات صـ ٢٢٩ .

أما الزاي والصاد فيمتازان بصفة الصفير ، التي هي صفة قوة فيهما تحدث نتيجة " تضييق أخدودي بين نصل اللسان والجزء الخلفي من حافة اللثة"(١) . وقد عرفها القدماء : بأنها حدة الصوت وشبهوا الصوت الناتج عنها بالصوت الخارج نتيجة ضغط ثقب . (٢) وهذه الصفة تحتاج إلى جهد إضافي مما يجعل الحروف المّتصفة بها حروفاً قليلة الدوران في الكلام .

أما المجموعة الأخيرة من الحروف قليلة الدوران فإنها تضم صوتين طبقيين هما : الغين والخاء ، وهذان الحرفان إضافة إلى كونهما حرفين احتكاكيين ، فهما حرفا استعلاء . " ومعنى الاستعلاء : أن تتصعد في الحنك الأعلى " (٣) . وهذا التصعد يلزم اللسان حركة لا يقوم بها عند إنتاج غيرهما من الحروف الاحتكاكية المستفلة ، مما يقتضي بذل جهد أكبر، مما يجعل صفة الاستعلاء صفة تكسب الصوت ثقلاً ، واجتماعها مع صفة الاحتكاك يجعل حرفي الخاء والغين حرفين ثقيلين على اللسان قليلين في الكلام .

---

(١) السابق صـ ٢٢٧ .

(٢) مخارج الحروف وصفاتها . ابن الطحان صـ 274 ، نقلا عن (الأصوات اللغوية) لـ عبد القادر عبد الجليل .

(٣) سر صناعة الإعراب 62/1

# المبحث الثاني

## الوحدات القطعية الصائتة و استعمالاتها في لغة القرآن

للوحدات القطعية الصائتة أهمية كبرى في كل لغات البشر ، جاءت من الدور الذي تقوم به ، واكتسبتها من طبيعتها وخصائصها . فهي ـ فوق ضرورتها في نطق اللغة واستعمالها ـ وسيلة للتغلب على صعوبة النطق ، فإذا كانت بعض اللغات الأجنبية تختص باجتماع أكثر من صوتين صامتين دون أن يفصل بينهما صوت من أصوات الحركة ، فإن اللغة العربية تنفر من هذا اللون من التجاور الصوتي إلا في الوقف خاصة . وهي أيضاً مقياس الأداء السليم للغة، فإذا عرف الناطق الطريق الصحيح لإصدار كل حركة وفق النظام اللغوي العام جاء أداؤه مستوفياً شروط الجودة والصحة ؛ لأن أقل عيب في النطق بها وأدنى خلل في إنتاجها تدركه الأذن واضحاً فتنفر منه . وهي روح الكلام التي تمنحه الحيوية والنشاط . وهي أيضاً وسيلة طيعة في يد المتكلم لكي يلون كلامه كيف يشاء ووفق مقتضيات الموقف الكلامي . وهي أساس تقسيم الكلام إلى مقاطع ، فأي كلمة تستطيع تقطيعها بناء على عدد الحركات التي فيها بحيث يشتمل كل مقطع على حركة واحدة فقط . (١) وهي فوق ذلك كله تؤدي دوراً نحويا وصرفيا ودلالياً مهماً يضيق المجال عن توضيحه .

وعلى الرغم من ذلك لم تحظ الوحدات القطعية الصائتة من قدامى اللغويين العرب ، بمثل ما حظيت به الأصوات الصامتة من العناية بها ، فإنهم على الرغم من إسهامهم في علاج تلك الأصوات الصامتة ، واعتدادهم بها أصواتاً مستقلة متمايزة ، رأيناهم يعالجون أصوات العلة علاجاً سطحياً ، وينظرون إليها على أنها

(١) علم الصوتيات ص ١٥٨ ، ١٥٩ بتصرف .

تابعة للأصوات الصامتة ، لا تستقل بنفسها في النطق تماماً ، كاستقلال الأصوات الصامتة ، فهم كما ذكر ابن جني كانوا ينظرون إلى الحرف كأنه محل للحركة ، والحركة عرض فيه قال : " محال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعرض فيه ، فهي لذلك محتاجة إليه ، فلا يجوز وجودها قبل وجوده " (١)

وقد أوقعهم في هذا الخطأ ، أن الكتابة العربية لا ترمز إلى الحركات . أو أصوات العلة القصيرة . في بنية الكلمة ، وإنما توضع رموزها في الخط فوق الحرف أو تحته ، فتوهموا لذلك أنها تابعة للحرف ، وليست رمزاً لصوت مستقل تمام الاستقلال لا يقل في شأنه عن رمز الحرف للأصوات الصامتة .

وهذا العيب في الخط العربي يرجع إلى أصوله التي أخذ منها ، وهو الخط النبطي الذي كان منتشراً في شمالي الجزيرة العربية في الحيرة والأنبار وغيرهما قبل مجيء الإسلام ، والنبط قوم من الساميين كانوا يتكلمون لهجة أرامية من تلك اللهجات الآرامية التي كانت شائعة في سوريا والعراق في ذلك الوقت ، وقد اشتقوا خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقي .

وعلى الرغم من أن أصوات العلة قصيرها وطويلها أوضح في السمع من الأصوات الصامتة بكثير ؛ فإن هؤلاء الساميين لم يرمزوا لها في خطوطهم منذ البداية ، سواء في ذلك القصير منها والطويل ؛ فكلمة " كتاب " مثلاً كانت تكتب " كتب " ، و" عمود " كانت تكتب : " عمد " و " جميل " كانت تكتب : "جمل " وهكذا (٢) . إلا أن هذا الأمر لا ينطبق على الأكاديين الذين كانوا يكتبون بالخط المسماري المقطعي ، فكانوا يكتبون كتابة كاملة تدون الحركات كما تدون السواكن ، أي تدون

---

(١) سر الصناعة ١ / ٣٧ .

(١) فصول في فقه العربية صـ ٣٩٧ ، ٣٩٨ بتصرف.

الفتحة والكسرة والضمة كما تدون الطاء واللام والنون وكل هذا في نفس الخط ونفس السطر لا فوقه ولا تحته ، فمعظم الأسماء الأكادية وصلتنا في النقوش المسمارية في ثلاث صور إحداها بحركة وهي الضم ، والثانية بحركة هي الفتح ، والثالثة بحركة هي الكسر . (١)

ثم حدث تطور صوتي في اللغة ترتب عليه أن اكتسب بعض رموز الأصوات الصامتة صفة الدلالة على أصوات العلة الطويلة ، فقد كانت الألف في الأصل رمزاً للهمزة في مثل : أكل ورأس ، كما كان كل من حرفي الواو والياء رمزاً للصوت الصامت في مثل : ولد ويكتب ويوم وبيت وغير ذلك .... وبعد أجيال بدا للناس كأن الألف رمز للفتحة الطويلة إلى جانب أنها رمز للهمزة مع أنها كانت في الأصل رمزاً للهمزة فحسب ، ومثل ذلك ظنه الناس في الواو والياء أنهما رمزان للضمة الطويلة والكسرة الطويلة إلى جانب أنهما رمزان لصوتي الواو والياء الصامتين . (٢)

وعندما استقر ذلك في الأذهان استعيرت هذه الرموز للدلالة على الحركات الطويلة في الكلمات التي لم يكن فيها أصلاً مثل تلك الرموز ؛ وذلك مثل : " كتاب" و " عمود " و " جميل " وغيرها ، غير أن ذلك لم يحدث في أول الأمر بصفة مطردة ، وعندما أخذ العرب الخط من النبط وجدوهم قد وصلوا إلى هذه المرحلة ولهذا فإننا نلحظ آثار عدم الاطراد ، هذا في الخطوط العربية القديمة كالخط العثماني الذي كتب به المصحف ، على عهد سيدنا عثمان بن عفان . رضي الله عنه . ففيه كلمات مثل : " أموال " و " كلالة " وغيرهما ، كتبت : " أمول " و " كلله " بدون الألف ، ومثل : " يدعو " و" يأتي" كتبت " يدع و " يأت " مع عدم وجود جازم قبل هذه الأفعال ، وعلى الرغم من تعميم استخدام هذه الرموز الثلاثة .

---

(٢) اللغة العربية عبر القرون د / محمود فهمي حجازي صـ ٢٥ بتصرف .

(٣) فصول في فقه العربية صـ ٣٩٨ بتصرف.

فيما بعد . للدلالة على الحركات الطويلة ظلت في الكتابة العربية بقايا للنظام القديم في الخط ، وإننا لا نزال حتى الآن نكتب : " هذا " و " ذلك " و" لكن " بدون ألف المد (١) . وهذا إن دل فإنما يدل على أن الحركات الطويلة كانت أسبق في الوجود من الحركات القصيرة ، إذ هي موروثة من الخط النبطي المشتق من الخط الفينيقي .

أما الحركات القصيرة فقد ظلت مهملة في اللغة العربية إلى ما بعد مجيء الإسلام إذ كانت العناية بالقرآن الكريم ، وصيانته من اللحن ، هي التي دعت العلماء في الصدر الأول للإسلام إلى البحث عن طريقة تمنع من يتلو النص القرآني من الوقوع في اللحن بسبب خلوه من رموز الحركات . فالعرب قديماً كانوا يعرفون الفتحة والضمة والكسرة . أي الحركات القصيرة . وينطقون بها ، إذ لولاها ما استقام الكلام ، ولا أنشدت الأشعار التي تباهى بها العرب في جاهليتهم تعبيراً عن بلاغتهم وفصاحتهم إلا أنهم لم يضعوا رموزاً لهذه الحركات في كتاباتهم ، وتنسب الروايات الإسلامية إلى أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٥ هـ) أنه كان أول من فكر في وضع رموز للحركات يضبط بها الرسم القرآني ، الذي كان يخلو من هذه الرموز ، فجعل رمز الفتحة نقطة فوق الحرف ، وتنوينها نقطتين ، والضمة نقطة أمام الحرف وتنوينها نقطتين ، والكسرة نقطة أسفل الحرف وتنوينها نقتطين ، وكانت تلك النقط الخاصة بالشكل تكتب بصبغ يخالف لون المداد الذي كتبت به الحروف ونقط إعجامها (٢) .

أما رموز الحركات القصيرة الموجودة في الخط العربي حالياً ، فهي من عمل الخليل في القرن الثاني الهجري ، وهي مأخوذة من صور الحروف ، فالضمة

---

(١) فصول في فقه العربية صـ ٣٩٩ .

(2) صبح الأعشى ١٥٩/٣، والبحث اللغوي عند العرب صـ ٧٩ ، ٨٠ .

واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف ؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف ، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف (١) .

ومع أن الخليل قد وضع هذا الشكل المريح فإن العلماء غبروا زماناً طويلاً لا يجرءون على استخدامه في النص القرآني ويفضلون عليه نقط أبي الأسود الدؤلي إتباعاً للسلف ، ويسمون ضبط الخليل" شكل الشعر " وكل ذلك لصيانة القرآن عن أن يتعاوره المتعاورون بالتبديل والتغيير . (٢) إلا أن طريقة الخليل في ضبط الخط العربي قد عمت فيما بعد ، وطغت على طريقة أبي الأسود الدؤلي ، واستخدمت كذلك في ضبط النص القرآني ولا نزال نستخدمها حتى اليوم .

وعلى هذا فقول أكثر النحويين إن الحركات الثلاث مأخوذة من الحروف الثلاثة الضمة من الواو ، والكسرة من الياء ، والفتحة من الألف ، هو الأصح والأدق عندي مؤيداً بحقائق التاريخ . كما سبق . من قول بعضهم إن حروف المد واللين الثلاثة مأخوذة من الحركات الثلاث (٣) . فالألف عند بعضهم من الفتحة ، والواو من الضمة ، والياء من الكسرة اعتماداً على أن الحركات قبل الحروف بدليل أن هذه الحروف تحدث عند هذه الحركات إذا أشبعت ، وأن العرب قد استغنت في بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف اكتفاءً بالأصل عن الفرع لدلالة الأصل على فرعه . وذهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذة من الحركات ولا الحركات مأخوذة من الحروف اعتمادا على أن أحدهما لم يسبق الآخر وصححه بعض النحاة . (٤)

## ـ الحركات العربية :{عددها وأنواعها وتأدياتها و استعمالها في لغة القرآن}

(١) فصول في فقه العربية صـ ٤٠٠ .
(٢) السابق صـ ٤٠١ .
(٣) سر الصناعة ٢٦/١ ، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق اللفظ التلاوة ص ٨١ ، ٨٢ .
(٤) صبح الأعشى ٣/ ١٥٨ . ١٥٩ .

## أولاً : ـ عددها وأنواعها وتأدياتها :

كما اختلفت الحروف باختلاف اللغات عدداً ونوعاً تبعاً لاختلاف مخارجها واختلاف أعضاء نطقها وإن اشتركت في كثير منها ، فإن الحركات كذلك مختلفة باختلاف اللغات عدداً ونوعاً وإن اشتركت في كثير منها ، زد على ذلك أنها قد تختلف في اللغة الواحد باختلاف بيئاتها . فالحركات الأساسية في اللغة الإنجليزية مثلا اثنتان وعشرون حركة . [١] بينما تشتمل الأسبانية واليونانية الحديثة على خمس حركات ، والفارسية على ست حركات ، والإيطالية على سبع حركات . [٢] والعبرية وهي أخت العربية على عشر حركات لكل واحدة منها رمز معين . [٣]

أما العربية فإنها تقل في عدد حركاتها كثيراً عن غيرها من اللغات وعلى الرغم من هذا الفارق الكبير بينها وبين الإنجليزية في هذا المجال ، نجد الحركات في العربية تقوم بوظائفها ودورها في تشكيل الكلام وبنائه على وجه لا يقل أهمية عن نظيراتها في اللغة الإنجليزية ، بل تفوقها وتمتاز منها في بعض الوجوه .

وقلة الحركات في لغة ما حسنة من حسنات هذه اللغة في النطق والأداء الفعلي للكلام . ذلك أن الحركات ـ في عمومها ـ أصعب من الأصوات الأخرى وأكثرها تعرضاً للتغيير والتبدل . ومن الطبيعي أنه كلما زاد عدد الحركات كانت صعوبة النطق أقوى احتمالاً وظاهرة التغير والتحول أكثر وقوعاً . زد على ذلك أن كثرة الحركات تقود حتماً إلى تداخلها والخلط بينها من حين إلى آخر، الأمر الذي ينتج عنه ـ لا محالة ـ خطأ في النطق أو خلط فيه ، ويؤدي إلى الخطأ في المعنى أو اللبس فيه . واحتمال الوقوع في الخطأ في نطق هذه الحركات الكثيرة واضح كل

---

[١] دراسات في علم اللغة ـ د/ بشر ص ١٩٩ ، وعلم اللغة العام (الأصوات العربية) صـ١٣٧

[٢] دراسة الصوت اللغوي صـ ١٥٦ ـ ١٥٧ .

[٣] أسس النحو العبري ـ د/ محمد سبعاوي صـ ٨ ـ ١٠ .

الوضوح عندما يحاول أجنبي استخدام تلك اللغة الكثيرة حركاتها كما يبدو ذلك لنا عندما ينطق العربي اللغة الإنجليزية حيث يقع في أخطاء نطقية واضحة ، كما يخلط بينها خلطا غير مقبول .

ولعل هذا الذي قررنا من القلة العددية للحركات العربية وما يتبع ذلك من ضعف احتمال تعرض هذه الحركات للتغير والتبدل ، يفسر لنا ذلك السر الفريد الذي تختص به عربيتنا الفصحى في ماضيها وحاضرها . ذلك أن هذه الحركات ما زالت هي هي ثابتة مستقرة بعددها وصفاتها لم يصبها تغير يذكر في تاريخها الطويل ، وهذا بدوره ضمن بقاء اللغة العربية وساعدها على الاحتفاظ بخواصها الصوتية الأساسية على مر الزمن ، حتى إنك لا تجد فروقاً صوتية ذات شأن بين حالها في الماضي والحاضر . أما الفروق التي تلحقها في اللهجات العربية الحديثة في مجال الحركات فهي فروق فردية في أساسها ترجع إلى البيئة الجغرافية والثقافية ، وهي مع ذلك فروق يسيرة في طبيعتها يمكن ردها كلها أو جلها إلى حركات اللغة الأم بصورة أو بأخرى ، كما يمكن حصرها وضبطها بشيء من النظر والتأمل .

وعلى الرغم من هذه القلة النسبية في عدد حركات العربية ، فإن لهذه الحركات دوراً خطيراً في المادة اللغوية على كل المستويات . فهي - بالإضافة إلى دورها الصوتي المتمثل في كونها لبنات أساسية في البناء الصوتي للغة - تؤدي وظائف ذات أهمية فائقة على المستوى الصرفي والمعجمي والدلالي والنحوي جميعا.[1]

وبالنظر والتأمل في حركات اللغة العربية نجد أنها تشتمل على حركات أساسية لها رموز كتابية في الخط العربي بعد مجيئ الإسلام ، وعلى حركات أخرى فرعية تظهر في النطق دون الكتابة ومرجعها إلى اختلاف اللهجات العربية في

[1] دراسات في علم اللغة صـ ٢٠٠ .

النطق بها وليست لها رموز كتابية وإنما تدرك مشافهة ، وعلى حركات أخرى خاصة بالنص القرآني وطريقة أدائه بعضها له رمز كتابي في المصحف الشريف وبعضها الآخر يدرك مشافهة .

أما الحركات الأساسية : فثلاث من حيث النوع والوظيفة التي تؤديها وهي الفتحة ، والكسرة ، والضمة . وست من حيث الكمية أو الزمن المستغرق في نطقها وهي : الفتحة القصيرة ، والفتحة الطويلة ( ألف المد واللين ) ، والكسرة القصيرة ، والكسرة الطويلة ( ياء المد واللين ) ، والضمة القصيرة، والضمة الطويلة ( واو المد واللين ) . فالفرق بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة هو فرق في الزمن المستغرق في نطق كل منهما إذ إن النطق بالحركة الطويلة يستغرق ضعف الزمن المستغرق في نطق الحركة القصيرة فمقداره حركتان ، والحركة بمقدار قبض الأصبع أو بسطه . أى مقدار زمن النطق بحركتين ، أو مقدار زمن النطق بألف ؛ لأنها ضعف الحركة . وزمن امتداد الحركة بالثانية هو ١٦ ، ٠ من الثانية . والألف ضعف ذلك ، وعلى هذا يكون زمن النطق بالمد الطبيعي أو الأصلي هو ٣٢ ، ٠ من الثانية . (١)

ولعل هذا هو ما عناه ابن جني في قوله : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ..... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ... فلولا أن الحركات أبعاض لهذه

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية ( دراسة نظرية وتطبيقية ) صـ ١٨٧ .

الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها " [١]

أما الحركات الفرعية : ففيها يمتزج الصوتان ـ أو الحركتان ـ مزجاً تاماً أو غير تام في صورة صوت واحد بما يمكن أن نسميه إشراباً أو إشماماً بالمعنى العام أو نسميه بالأحرى تقريب الأصوات من بعضها . [٢]

وعلى هذا تكون الحركة الفرعية حركة مركبة من حركتين ، والتركيب في الحركات العربية هو كل تشكل صوتي متميز للحركات في العربية يخالف في أدائه ووقعه السمعي أداء الحركات البسيطة ووقعها ، وهي الفتحة والضمة والكسرة ، ولا شك أن الأداء المتميز للفتحة المركبة مثلا في تحليله فتحة بسيطة بمعية عنصر آخر ، ولمعرفة نوعية الحركة ينبغي أن نحدد ذلك العنصر وطبيعة المعية، إذ إن التركيب يحدث بأشكال متعددة أهمها :

١. مزج حركتين مختلفتين وقد يعبر عن ذلك بالإشراب أو الإشمام .
٢. تقريب بعض الأصوات من بعض .
٣. إضافة بعضها إلى بعض في شكل إشباع كمي .
٤. انتقال سريع ( انزلاق ) من بعضها إلى الآخر .

وهذا الدمج في الحركات هو في الحقيقة شكل من أشكال التركيب الصوتي، والذي يتضح جليا في الأداء إذ إن بين كل حركتين بسيطتين حركة مركبة من أدائيهما بنسب محددة من كليهما . [٣]

وهذه الحركات الفرعية أو المركبة موجودة في الأداء القرآني وتختلف باختلاف القارئ ، وهي مروية عن رسول الله ـ ﷺ ـ ومرجعها في حقيقة الأمر إلى

---

[١] سر صناعة الإعراب ١ / ٢٨ ـ ٢٩ .

[٢] النظام التركيبي لحركات العربية (دراسة صوتية في القراءات واللهجات) صـ ١٨ .

[٣] النظام التركيبي لحركات العربية صـ ٢٠ ـ ٢١ بتصرف .

اختلاف اللهجات العربية .

ويعد ابن جني ـ رحمه الله ـ أول من أشار إليها إذ يقول : " واعلم أنك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف فقد تجده أيضا بين الحركات حتى إنك تجد الفتحة مشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة منحواً بها إليهما ، وتجد الكسرة أيضا مشوبة بشيء من الضمة ، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة ، ولا تجد الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة " . [1] وتفصيلها كالآتي :

١. الفتحة المشوبة بالكسرة : وهي الفتحة قبل الألف الممالة نحو فتحة عين عابد وعارف ، وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت ، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة ، وهذا هو القياس ؛ لأن الألف تابعة للفتحة فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها ، وقد أمالوا أيضا هذه الفتحة وإن لم تكن بعدها ألف فقالوا : من عمرو ، ورأيت خبط رياح ، وقرأ بعضهم : ( فإنهم لا يكذبونك ) وقرىء أيضا :(وإنا إليه راجعون) و (رأى القمر) . [2] وكما في قراءة الكسائي لكلمة (رحمة) حين الوقوف عليها . [3]

٢. الفتحة الممالة نحو الضمة : وهي التي تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو : الصلاة والزكاة ودعا وغزا وقام وصاغ ، وكما أن الحركة ـ أيضا هنا ـ قبل الألف ليست فتحة محضة بل هي مشوبة بشيء من الضمة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة ؛ لأنها تابعة لحركة هذه صفتها

---

[1] سر صناعة الإعراب ١/ ٦٠ .

[2] السابق نفسه .

[3] الأصوات اللغوية صـ ٣٩ .

فجرى عليها حكمها . [١] فالمتكلم عندما ينحو بصوت الفتحة نحو الضمة سواء أكانت هذه الحركة قصيرة أم طويلة فإنه ينتج صوتا مركبا ممتزجا متجانسا من حيث التكوين ، وقد تواجد هذا الأداء في غرب الجزيرة . [٢] وعزاه سيبويه إلى أهل الحجاز كما سبق من قبل وجعله نوعا من الحروف الفرعية لا من الحركات الفرعية .

٣. الكسرة المشوبة بالضمة : وهو امتزاج متجانس من حركتي الضمة والكسرة مع غلبة صوت الكسرة وهذا ما وضحه مكي ابن أبي طالب بقوله : " وليس الحرف الأول من هذه الأفعال بمضموم وإنما هو مكسور يخالط كسرته شيئ من ضم يسمع " . [٣] وذلك نحو : (قُيل) حيث وقع في القرآن الكريم ، و(غُيض) في سورة هود : ٤٤ ، و(سُيق) في الزمر: ٧١ ، ٧٣ ، و(جُئ) في الزمر : ٦٩ ، والفجر : ٢٣ ، و(حُيل) في سبأ : ٥٤ ، و(سُيئ) في هود : ٧٧ والعنكبوت : ٣٣ ، و(سُيئت) في الملك : ٢٧ . فالحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة والياء بعدها مشوبة بروائح الواو. [٤] وقد اختلف القراء السبعة في حركة فاء الفعل الثلاثي المعتل العين المبني للمجهول من هذه الكلمات حيث قرأ الكسائي وهشام بإشمام حركة الفاء الضم في كل هذه الأفعال ، وقرأ ابن ذكوان بإشمام الفاء في (سيئ) و(سيئت) و(سيق) و(حيل) ، وقرأ نافع من ذلك بالإشمام في(سيئ) و(سيئت) ، وقرأ الباقون بكسر حركة الفاء في جميعها . [٥]

---

[١] سر صناعة الإعراب ١/ ٦٠ .

[٢] النظام التركيبي لحركات العربية صـ ٤٢ .

[٣] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١/ ٢٣١ .

[٤] سر صناعة الإعراب ١/ ٦١ .

[٥] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والاتحاف ١٧٠ ،١٧١ .

٤. **الضمة المشوبة بالكسرة** : وذلك نحو الإمالة في : مررت بمذعور ، وهذا ابن بور . نحوت بضمة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئاً من الكسرة ، فكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة ، فكذلك الواو أيضا بعدها هي مشوبة بروائح الياء وهذا مذهب سيبويه وهو الصواب ؛ لأن هذه الحروف تتبع الحركات قبلها فكما أن الحركة مشوبة غير مخلصة فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمه . [١]

٥. **الألف التي تمال إمالة شديدة** : وقد عدها سيبويه وابن جني من الحروف المستحسنة التي يجوز أن يقرأ بها القرآن الكريم ، وهي ألف بين الألف والياء لا هي ألف خالصة و لا ياء خالصة ، إنما هي ألف قريبة من لفظ الياء لعلل أوجبت ذلك ، وبذلك قرأ حمزة والكسائي في كثير من القرآن نحو :(الهدى ، والعلا ، وأسارى) ، ووافقهما أبوعمرو وغيره على جملة منه . [٢] وقيل : هي أن ينحى بالألف نحو الكسرة بحيث لو زيد لصارت الألف ياءً وتسمى عندهم الإمالة الكبرى

٦. **ألف التفخيم** : وهي التي يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو . كما كانت الألف الممالة ألفا يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء فهي نقيضة الألف الممالة . وبذلك قرأ ورش عن نافع في (الصلاة) و(الطلاق) و (بظلام) وشبهه . وذلك فاش في لغة عن الحجاز . [٣] وقد عدها سيبويه وابن جني وغيرهما من الحروف المستحسنة التي يجوز أن يقرأ بها القرآن الكريم ، وهي حركة وليست حرفاً ، لكونها ألف ، والألف فتحة

---

[١] سر صناعة الإعراب ١/ ٦١ .

[٢] الرعاية صـ ٨٥ ، ٨٦ .

[٣] الرعاية صـ ٨٦ .

طويلة وقد وصفها د/ تمام حسان بقوله : " وهي ألف تستدير في نطقها الشفتان قليلا مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل ، ويرتفع مؤخر اللسان قليلاً فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز، وأوغل في بابه من تفخيم القبائل الأخرى حتى إن بعض الألفات المفخَّمة على لغة الحجازيين في مثل كلمتي : الصلاة والزكاة جاورت أصواتاً غير مطبقة ، فخشي مدونوا القرآن على تفخيم الألف ، فلهذا السبب كتبوها في صورة الواو ليعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة " [1] وربما يكون ما كتب به رسم القرآن الكريم بالواو بدل الألف في أمثال : الصلاة والزكاة والحياة على هذه اللهجة الحجازية ، فالنطق بالألف المفخمة يستلزم تغيراً فسيولوجياً في ممر الهواء أثناء النطق بهذه الحركة وهذا التغير الفسيولوجي يتم عن طريق تغير في حجرة الرنين أو المرنات الصوتية الموجودة في الحلق بحيث تضيق حجرة الرنين عن طريق ارتفاع مؤخر اللسان قليلاً واتجاهه نحو الجدار الخلفي للحلق فيضيق الفراغ بينهما وينتج عنه تفخيم للحركة المنطوق بهذه الكيفية وهي الألف المفخمة وبذلك يصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم . وبذلك أيضاً تكون صورة الممر الصوتي في الجدار الخلفي للحلق أقرب ما تكون عليه حال النطق بالحروف المفخمة وهي ( ص ، ض ، ط ، ظ ) في أصل اللغة . وهذه الحركة (ألف التفخيم) قلما يقرأ بها ؛ لأنه لم يرد بها أثر يعتمد عليه .

ومن الحركات الفرعية : حركات تعتريها صفات مختلفة عما هي عليه في

---

[1] اللغة معناه ومبناها صـ ٥٣ .

أصلها بسبب السياق الصوتي الذي تقع فيه ، إذ يُحدث فيها هذا السياق تأثيراً نوعياً معيناً ، ولذا قسم بعض العلماء الحركات إلى تسع حركات تبعاً لما يجاورها في التركيب فتتأثر به على النحو الآتي :

١. الفتحة المفخمة: وتكون مع حروف الإطباق وهي (ص، ض ، ط ، ظ).
٢. الفتحة الوسطى ( بين التفخيم والترقيق ) وذلك مع : ( ق ، غ ، خ ) .
٣. الفتحة المرققة : وذلك مع بقية الحروف .
٤. الكسرة المفخمة : وتكون مع حروف الإطباق وهي الأربعة السابقة .
٥. الكسرة الوسطى ( بين التفخيم والترقيق ) وذلك مع ( ق ، غ ، خ ) .
٦. الكسرة المرققة : وذلك مع بقية الحروف .
٧. الضمة المفخمة : وتكون مع حروف الإطباق .
٨. الضمة الوسطى ( بين التفخيم والترقيق ) وذلك مع ( ق ، غ ، خ ) .
٩. الضمة المرققة : وذلك مع بقية الحروف . [١]

وينبغي أن يلاحظ أن الحركة المفخمة تحتاج في أدائها الصوتي إلى جهد عضلي أكبر مما تحتاجه الحركة الممالة ، وإذا كان التفخيم في الحرف هو الأصل وله حروف محددة في سياقات معينة إلا أن بينهما ارتباط وثيق ، فالفاصل بين تفخيم الحرف وتفخيم الحركة خيط رفيع ؛ لأن العامل المساعد على تفخيم الحروف وترقيقها . أي استمرار ذلك وظهوره . هو الحركات ، فبتشكلاتها المتعددة توجه وبشكل كبير عملية التفخيم والترقيق ، فوجود الكسرة مثلا مع الحرف أو قبله أو بعده له أثر واضح في ترقيقه أو تفخيمه ، بل هي أيضا عامل أساسي في إلغاء التفخيم بعد أن كان أصلا ساري المفعول ، كما تساعد الفتحة على التفخيم أيضا .

---

[١] علم اللغة العام (الأصوات) صـ١٤٨ . ١٥٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ٥٠٥ – ٥٠٦ ، وعلم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) صـ ٢٨٠ .٢٨٦ .

(١)

ومعنى ذلك أن الحركات الست قد تتعدد صورها وأمثلتها في النطق الفعلي للكلم ، بسبب ما يجاورها من الأصوات الصامتة ، فالفتحة مثلا قد تكون مرققة ، أو مفخمة ، أو بين بين ، كما في نحو: دل ـ ضل ـ قل، بهذا الترتيب ، وذلك بسبب وجود الدال في الكلمة الأولى والضاد "المفخمة" في الثانية والقاف "التي بين الترقيق والتفخيم" في الثالثة ، ولكن هذه السمات الثلاث التي لحقت الفتحة في هذه الأمثلة ذات قيمة نطقية فقط وليست ذات قيمة في الدلالة أي في التفريق بين المعاني ، والفرق في المعاني بين هذه الكلمات الثلاث إنما سببه الدال والضاد والقاف وليس ترقيق الفتحة أو تفخيمها أو نطقها بين الحالتين . من ثم يقع الخطأ في المعنى والنطق أو اللبس فيهما إذا حدث خطأ في نطق هذه الأصوات الثلاثة "الدال والضاد والقاف" أي بالإتيان بها على وجه مخالف لطبيعتها النطقية المقررة من ترقيق أو تفخيم أو "وسطية".

ومعنى ذلك ـ كما قررنا ـ أن الحركات في العربية بوصفها وحدات مميزة للمعاني والقيم الدلالية في اللغة العربية ست فقط ، وإن تعددت صورها النطقية الفعلية في السياقات المختلفة . وعد هذه الحركات ستا فقط هو المأخوذ به في النظر العلمي في النظام الصوتي للغة العربية ، وهو المبدأ المتبع باتفاق عند محاولة وضع القواعد أو الضوابط الصوتية الوظيفية المميزة لهذه اللغة . (٢)

أما الحركات الفرعية الخاصة بالأداء أو النص القرآني : فهي تنبع ـ أيضاً ـ من السياق الصوتي الذي تقع فيه ، إذ يُحدث فيها هذا السياق تأثيراً كمياً معيناً مخالفاً لما كان عليه في الأصل فيصبح صوت المد ـ والذي يستغرق جزءً من الزمن

(١) النظام التركيبي للحركات العربية صـ ٥٥ .

(٢) دراسات في علم اللغة صـ ١٩٩ .

قدره بعضهم بـ ٣٢، ٠ من الثانية أي بمقدار حركتين كما سبق . أكثر طولاً فيكون بمقدار ألفين أو ثلاث ألفات . وقد تصبح الحركة القصيرة . والتي تستغرق جزءً من الزمن قدره بعضهم بـ ١٦، ٠ من الثانية كما سبق . أكثر قصراً . وهاك التوضيح :

**أ ـ الإشباع المضاعف للحركات** :

وهو إطالة الصوت بالحركة القصيرة حتى تبلغ أربعة أمثالها أو خمسة أو ستة ، وهو أداء اختص به النص القرآني دون سواه ومشروط بضوابط وأسباب يتحقق بها وقد سماه علماء التجويد بالمد الفرعي . وعرفوه بأنه " زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه" (١)

وهو ما يعنيه أهل الأداء عند استخدامهم لهذا المصطلح . وهو موضع اهتمامهم فبينوا حقيقته ، وسببه ، وأقسامه ، ومقاديره ، ومحاذيره ، وأنواعه . وليس هذا مجال تفصيلها.

**أما أسبابه** : فقد حصرها العلماء في سببين : أحدهما لفظي وهو ما يجاور حرف المد في السياق فيتأثر به من حيث مقداره في الأداء ، وذلك إذا جاور حرف المد الهمز قبله أو بعده ، أو السكون . لذا قسموا المد الفرعي إلى قسمين هما : مد فرعي بسبب الهمز ، ومد فرعي بسبب السكون .(٢)

وقسموا المد الفرعي بسبب الهمز إلى ثلاثة أقسام هي :

١. المد المتصل : وهو الذي ترد فيه الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة . (٣) وحكمه وجوب المد باتفاق القراء . وإن تفاوتوا في مقداره . فأكثره

---

(١) الإتقان ١ / ٢٥٧ .

(٢) الإتقان ١/٢٥٧ .

(٣) السابق نفسه .

بمقدار ثلاث ألفات وأقله بمقدار ألف ونصف . (١) وذلك كما في قوله تعالى : ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢)

٢. المد المنفصل : وهو ما كان فيه حرف المد آخر كلمة والهمزة أول كلمة أخرى . (٣) وحكمه الجواز أي يجوز مده وقصره ، فابن كثير والسوسي يقصرانه ويمدانه ، والباقون يمدونه بلا خلاف . وإن تفاوتوا في مده فأكثرهم يمده بمقدار ثلاث ألفات ، وأقله ألف . (٤) ومنه قوله ﷻ :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ (٥)

ووجه المد الزائد فيهما . حتى وصل به بعضهم إلى ما يوازي ثلاث ألفات عند نطقه هو : الحرص على نطق الحرفين . (المد والهمزة) . على حقهما . فحرف المد ضعيف خفي والهمز قوي صعب فزيد في المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوى . وقيل : ليتمكن من النطق بالهمزة على حقها من شدتها وجهرها . وقيل : ليستعان به على النطق بالهمزة وليكون صونا للحرف عن أن يسقط عند الإسراع لخفائه وصعوبة الهمز . (٦)

٣. مد البدل : وهو المد الذي يتجاور فيه صوت الهمزة وصوت المد ،

---

(١) نهاية القول المفيد صـ ١٣٢ . ١٣٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٣) الاتقان ٢٥٧/١ ، ونهاية القول المفيد صـ ١٣٤ .

(٤) نهاية القول المفيد صـ ١٣٤ بتصرف .

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٦) الإتقان ١ / ٢٥٨ ، ونهاية القول المفيد ١٣٣ .

شريطة أن يأتي الهمز أولا والمد ثانيا . (١) في كلمة أو في كلمتين . وحكمه جواز مده وقصره . فيجوز للقارئ أن يمده على طبيعته بمقدار حركتين ، ويجوز له أن يمده بمقدار أربع حركات ، كما يجوز له أن يمده مدا مشبعا بمقدار ست حركات . (٢)

وسمي بالبدل ؛ لأن حرف المد فيه مبدل من الهمزة غالبا ، إذ أصل كل بدل هو اجتماع همزتين في كلمة أولاهما متحركة والأخرى ساكنة فتبدل الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى تخفيفا . فالهدف منه التخفيف والسهولة في الأداء ؛ لأن نطق الهمزة الواحدة ثقيل في النطق ، فإذا اجتمعت همزتان متواليتان كان ذلك أشد ثقلا على اللسان ؛ لأن الهمزة صوت صعب على اللافظ ، وهم باستكراه الثنيتين ورفضهما أحرى كما قال ابن جني (٣) . ومنه قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ، وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (٤)

أما المد الفرعي بسبب السكون فقسموه إلى ثلاثة أقسام أيضا هي :

١. المد اللازم : وهو الذي يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن مشدد في كلمة واحدة نحو : ( الحآقة ) في قوله تعالى :﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ . (٥) و(حاج) بتضعيف الجيم في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ ﴾ (٦) وكذا قوله : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا

(١) عن علم التجويد القرآني صـ ٣٥٠ .
(٢) السابق صـ ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
(٣) سر الصناعة ١ /٧٤ ، ٧٥ .
(٤) سورة سبأ الآيتان (٤ ، ٥) .
(٥) سورة الحاقة الآيات (١،٢،٣)
(٦) سورة البقرة آية (٢٥٨) .

مِن دَابَّةٍ ﴾ . [١] ويسمى المد اللازم الكلمي المثقل . أو غير مشدد نحو(الآن) في قوله تعالى : ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ﴾. [٢] ويسمى المد اللازم الكلمي المخفف . أو يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن سكونا أصليا مشددا في حرف من فواتح السور مثل : (الم) : ألف لام ميم ، فإن الميم الساكنة في كلمة (لام) جاءت بعد ألف المد وقد أدغمت في الميم الأولى في كلمة ( ميم ) ويسمى المد اللازم الحرفي المثقل . أو يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن سكونا أصليا غير مشدد في حرف من فواتح السور نحو: (ص) : صاد ، (ق) قاف ويسمى المد اللازم الحرفي المخفف . وسمى لازما ؛ لأن السكون الموجب له لازم في الكلمة . وقدر مده بمقدار ست حركات وهو المعروف بمرتبة الإشباع ، وحكمه الوجوب . (٣) لذا قسمه علماء الأداء القرآني إلى أربعة أقسام هي : المد اللازم الكلمي المثقل ، والمد اللازم الكلمي المخفف ، والمد اللازم الحرفي المثقل ، والمد اللازم الحرفي المخفف .

وعلة هذا النوع من المد الفرعي بأقسامه الأربعة : هي التمكين لأعضاء النطق من الاستعداد لنطق الساكن الذي يلي صوت المد بالنسبة للكلمي المخفف والحرفي المخفف ، ومن باب أولى التمكين من الاستعداد لنطق الساكن المشدد الذي هو أكثر ثقلاً . (٤) حيث اجتماع الساكنين فيه حشوا فيجعلون طولها . حروف المد الثلاثة . ووفاء الصوت بها عوضا عما كان يجب لالتقاء الساكنين من

---

[١] سورة فاطر من الآية (٤٥)

[٢] سورة الأنفال آية (٦٦)

[٣] عن علم التجويد القرآني صـ ٣٧١ .

[٤] السابق صـ ٣٦٦ . ٣٧١ بتصرف .

تحريكها . (١)

٢ . المد العارض : وهو أن يقع بعد حرف المد أو اللين ساكن عارض لأجل الوقف أو للإدغام عند بعض القراء كالإدغام الكبير لأبى عمرو من رواية السوسي . وحكمه الجواز . أي جواز مد وقصره ؛ لذا كان للقراء فيه ثلاثة مذاهب :

الأول : الإشباع كاللازم لاجتماع الساكنين اعتدادا بالعارض .

الثاني : التوسط لمراعاة اجتماع الساكنين مع ملاحظة كونه عارضا فحطه عن الأصل .

الثالث : القصر لعروض السكون فلا يعتد به ؛ لأن الوقف يجوز فيه التقاء الساكنين مطلقا . (٢)

وسببه : هو وجود الصوت الساكن بعد أصوات المد واللين ، سواء أكان هذا عارضا نتيجة للوقف على هذا الصوت التالي لصوت المد كما في (الرحيم ... وغفور) أم كان عارضا بسبب الإدغام الكبير على مذهب أبي عمرو كما في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾. (٣)

وعلة إطالة زمن صوت المد في هذه الحال هي : التمكن من نطق الصوت الساكن بعده ، وبيان ذلك أن أعضاء النطق لكي تقوم بنطق الصوت الساكن تحتاج إلى قوة ونشاط أكثر منهما مع نطق صوت المد ( الحركة ) ولكي تكون قادرة على بذل هذه القوة الكبرى والنشاط الأكبر فإنها تحتاج إلى زمن أطول لهذا فإن القارئ لكتاب الله ـ ﷻ ـ يطيل في زمن صوت المد عن قدره الطبيعي ليتمكن من نطق

---

(١) الخصائص ٣ / ١٢٨ .

(٢) نهاية القول المفيد صـ ١٤٠ – ١٤١ بتصرف .

(٣) البقرة آية (٢) .

الصوت الساكن بعده . (١)

٣ ـ مد اللين : وهو الواو والياء الساكنتان إذا انفتح ما قبلهما ، وجاء بعدهما الهمزة وصلا ووقفا ، أو السكون ولا يكون إلا في الوقف .

أما سببه وعلته : فهي أن الصوت الذي جاور صوت المد هنا وجاء بعده هو إما الهمزة ، وإما السكون . وكل من الهمزة والسكون في نطقه نوع من الصعوبة يحتاج إلى استعداد الأعضاء للنطق ، ومن ثم فإنها تحتاج إلى زمن غير الزمن العادي لتنفذ فيه هذا الاستعداد ، فكانت الزيادة في زمن صوت المد عن زمنه الطبيعي . (٢) وحكم هذا النوع من المد هو الجواز . ومثله المد في كلمة (شيئ) في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾. (٣)

أما السبب الثاني لإشباع صوت المد فمعنوي : وهو قصد المبالغة في النفي وقسموه إلى قسمين هما :

١ ـ مد التعظيم : وموضعه ( لا النافية ) في كلمة التوحيد : ( لا إله إلا الله ) ويسمى مد المبالغة ؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي الألوهية عما سوى الله تعالى .

٢ ـ مد التبرئة : وهو المروي عن الإمام حمزة ( رحمه الله ) في نحو قوله تعالى : ﴿ لاَّ رَيْبَ فِيهَ ﴾ . وحكم هذا المد للسبب المعنوي بنوعيه مستحب ، ودرجته التوسط فهو بمقدار أربع حركات . (٤)

---

(١) عن علم التجويد القرآني صـ ٣٥٦ .

(٢) عن علم التجويد القرآني صـ ٣٦١ .

(٣) سورة فاطر من الآية (٤٤)

(٤) النشر ٣٤٤/١ ، ونهاية القول المفيد ١٣١ ، وعن علم التجويد القرآني ٢٩٠ وما بعدها

## ب ـ تقصير الحركات القصيرة :

من الظواهر الصوتية الملفتة للانتباه في النص القرآني اختزال الكمية الصوتية للحركة عن طريق السرعة في الأداء لضرب من التخفيف فتصبح الحركة القصيرة عند أدائها أقل نطقا في زمنها مما هي عليه في أصل الفصحى والذي قدر بـ ٣٢، ٠ من الثانية كما سبق ، وهذا التقصير في نطق الحركة القصيرة يكون في الوصل تارة وهو ما يطلق عليه ( الاختلاس أو الإخفاء ) ، وفي الوقف تارة ثانية وهو ما يطلق عليه ( الروم ) ، وتحكمه المشافهة إذ لا تنعدم فيه الحركة كلية وإنما يسمع لها صوت خفي دال عليها . وعلى هذا تكون الحركات المجزوءة أو المختزلة في العربية حركات بسيطة غير تامة ، وليست حركات مركبة أو مزدوجة كما في حركات الإمالة والإشمام ، وإنما هي تقابل الحركات البسيطة التامة أي الفتحة والكسرة والضمة . وهاك التوضيح :

### ١ ـ الاختلاس :

وهو عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن والصفة . [١]

فالمتكلم لا يبلغ بالحركة القصيرة قدرها الكامل في الأداء لضرب من الخفة والسرعة فيه ، وهو من طرق الأداء التي صحت عن الأئمة وثبتت عنهم بالرواية يقول ابن جني : ".... هيهات ما أبعدك عن تصوّر أحوالهم وبعد أغراضهم ولطف أسرارهم حتى كأنك لم ترهم وقد ضايقوا أنفسهم وخففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاساً وأخفَوها فلم يمكّنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو : ﴿ مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُف﴾[٢]

---

[١] القواعد والإشارات في أصول القراءات صـ٥٢ ، والتمهيد في علم التجويد ٦٧/١ .

[٢] سورة يوسف من الآية (١١) .

مختلِسا لا محقّقا وكذلك قوله ـ ﷻ ـ ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾. [١] مخفًي لا مستوفي ، وكذلك قوله ـ ﷻ ـ ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بارِئكُمْ ﴾. [٢] مختلسا غير ممكّن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادّعى أن أبا عمرو كان يسكّن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القرّاء الذين روَوه ساكناً ولم يُؤْت القوم في ذلك من ضعف أمانة لكن أتُوا من ضعف دراية ". [٣]

وعلى هذا يكون الاختلاس بإضعاف صوت الحركة وإخفائها لا بإشمامها شيئا من حركة أخرى غيرها . ويكون عند القراء في الحركات الثلاث ، أما النحاة فيكون عندهم في المكسور والمضموم ولا يكون في المفتوح لخفة الفتحة عندهم . [٤] وبه قرأ قالون عن نافع في أحد وجهيه كلمة (تعدوا) باختلاس فتحة العين أي بأداء وسط ين السكون والفتحة التامة في قوله تعالى :﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾. [٥]

## ٢ ـ روم الحركات :

وهو إذهاب أكثر الحركة وإبقاء جزء منها حال الوقف وفائدته الإعلام بأصل الحركة ليرتفع جهالة السامع . [٦] أو هو عبارة عن النطق ببعض الحركات حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صويتا خفيا يدركه الأعمى بحاسة سمعه دون

---

[١] سورة القيامة آية (٤٠) .

[٢] سورة البقرة من الآية (٥٤) .

[٣] الخصائص ١ /٧٣ .

[٤] الكتاب ٤/ ٢٠٢ .

[٥] سورة النساء آية (١٥٤) .

[٦] القواعد والإشارات في أصول القراءات صـ ٥١ .

الأصم . [١] فالزمن المستغرق لأداء الحركة المرومة أقل من زمن أداء الحركة القصيرة وقد حدد القراء وعلماء الأداء الثابت من الحركة معه بثلثها، ويستعمل عندهم في الحركات الثلاث إلا أن عادة القراء أن لا يروموا المنصوب ولا المفتوح لخفتهما وسرعة ظهورهما إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما . [٢]

وعلى هذا فالحركات الفرعية في النص القرآني قد تنشأ إما من تغيير في هيئة جهاز النطق في أثناء التلفظ بها كما في الفتحة المشوبة بالكسرة ، والفتحة الممالة نحو الضمة ، والكسرة المشوبة بالضمة ، والضمة المشوبة بالكسرة . كما قد تنشأ من الكمية أي الزمن المستغرق في نطق الحركة قصيرة كانت أو طويلة . ومن هنا نستطيع أن نقول : أن علماء التجويد قد لاحظوا أن الحركات قد يلحقها في التركيب من التغيير ما يؤدي إلى زيادة في مد الطويل منها ،أو إلى تقصير القصير منها ،ولكل منهما سياقه الصوتي الذي يلزمه هذا التغيير أو ذاك فيجب على مبتغي التجويد الاعتناء بالحركات والإتيان بها من غير إفراط ولا تفريط إذ القراءة كما قال زيد بن ثابت : سنة يأخذها الأول عن الآخر . [٣] أي أن يلفظ بها كما تلقاها عن الأئمة شيوخ القراءة لا كما هي عليه في أصل الفصحى .

## ثانيا : ـ دوران الحركات الأساسية في لغة القرآن :

ذكرت من قبل أن الحركات الأساسية في اللغة العربية هي الفتحة والكسرة والضمة ومضاعفاتها أي ألف المد وياء المد و واو المد ، وهنا أود أن أبين أن هذه الحركات ليست على درجة واحدة في الاستعمال العربي الفصيح ولا في القرآن الكريم ، وإنما بعضها أكثر استعمالاً فيهما من بعض . فالفتحة يكثر استعمالها في القرآن

---

[١] التمهيد في علم التجويد صـ٦٧ .

[٢] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد صـ ٥١٠ .

[٣] القواعد والإشارات في أصول القراءات صـ ٥٤ .

الكريم عن أختيها الكسرة والضمة ، والكسرة يكثر استعمالها فيه بنسبة قليلة عن الضمة . وما ذلك إلا لخفة الفتحة في نطقها عن أختيها ، وثقل الضمة عن الكسرة على النحو الذي سنبينه ، وهم لما خف نطقه أكثر استعمالا له مما ثقل .

ومما يدل على كثرة استعمال الفتحة عن أختيها في القرآن الكريم ، وقلة استعمال الضمة عن أختيها فيه أن الأب هنري فليش قام بعمل إحصاء لنسبة ورود المصوتات في الآيات القرآنية من الآية رقم ٥ إلى الآية رقم ١٢ من سورة البقرة فوجد : أن الفتحة تتكرر ١١٠ مرات أي( ٤ ، ٥٤ % ) ، وأن الكسرة تتكرر ٤٢ مرة أي(٨، ٢٠%)،وأن الضمة تتكرر ٥٠ مرة أي( ٨، ٢٤ % ). [١] وقمت أنا بعمل إحصاء لهذه المصوتات في السورة نفسها في الآيات من (٤٤) إلى (٥٠) فوجدت أيضا أن الفتحة تتكرر (١٥٠ مرة) ، والكسرة تتكرر (٤٦ مرة) ، والضمة تتكرر (٥٢ مرة) . وهذا إن دل فإنما يدل على أن استعمال الضمة في القرآن الكريم كان أكثر من استعمال الكسرة فيه وليس العكس كما سبق مما جعل الأب هنري فليش يجري إحصاءات أخرى على آيات من القرآن الكريم في نصوص أكبر من النص المذكور حتي يبرهن على كثرة استعمال الكسرة فيه عن الضمة أو تقاربهما ، فأحصى المصوتات في الآيات (١ . ١٨) من سورة البقرة ، والآيات (٢ . ٣٤) من سورة طه ، والآيات (٢ . ٢٠) من سورة الروم ، أي إنه اختار من كل سورة مئتي كلمة .. فخرج من إحصائه لهذه الكلمات الستمئة بالنتيجة التالية: الفتحة (٤، ٥٩%)، والكسرة (٨، ٢٠%)، والضمة (٨، ١٩ %) ، وعلى هذا فنسبة استعمال الفتحة قد زادت عما كانت عليه في الآيات القليلة السابقة ، بينما تقاربت نسبة استعمال الكسرة والضمة وإن كانت الكسرة قد استعملت أكثر من الضمة في هذه

[١] علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) صـ ٢٧٢ .

النصوص بنسبة ١ % . [١]

ولكي أطمئن إلى نتيجة هذا الإحصاء الذي قام به هنري فليش قمت بعمل إحصاء آخر على بعض من قصار السور فكان الإحصاء على النحو المبين في الجدول الآتي :

| السورة | عدد مرات الفتحة | عدد مرات الكسرة | عدد مرات الضمة |
|---|---|---|---|
| التكوير | ١٤١ | ٧٩ | ٥٩ |
| الانشقاق | ١٨٦ | ٦٧ | ٤٩ |
| البروج | ١٣٨ | ٧٦ | ٧٦ |
| الأعلى | ١٣٣ | ٢٥ | ٢٥ |
| الغاشية | ١٤٦ | ٧٦ | ٧٦ |
| الفجر | ٢٤١ | ٨٩ | ٥٣ |
| البلد | ١٦٠ | ٤٠ | ٢٧ |
| الزلزلة | ٧٣ | ١٦ | ١٣ |
| العاديات | ٦١ | ٣٦ | ١٩ |

فعن طريق هذا الإحصاء المبين في الجدول السابق نستطيع أن نقرر كثرة استعمال الفتحة وألف المد عن أختيها الكسرة وياء المد ، والضمة وواو المد في لغة القرآن الكريم ، وقلة استعمال الضمة وواو المد فيه عن أختيها الفتحة وألف المد والكسرة وياء المد ، وذلك لخفة الفتحة وألف المد عن الكسرة وياء المد وعن الضمة وواو المد . فالفتحة أخف الحركات الثلاث تليها الكسرة والضمة أثقلها .

وإنما كانت الفتحة والألف أخف الحركات الثلاث لأمور عدة أهمها : كثرة

[١] السابق صـ ٢٧٣ .

الاستعمال لما هو أخف كالفتحة ، وقلة الاستعمال لما هو أثقل كالضمة والكسرة [١]. فما خف عندهم كثر استعماله ، وما ثقل عندهم قل استعماله . ومنها : أن الإسكان أي تسكين عين الكلمة للتخفيف إنما يكون في المضموم والمكسور دون المفتوح نحو قولهم في رُسُل جمع رسول : رُسْل ، وفي كَتف : كَتْف ، واستمرار ذلك في المضموم والمكسور دون المفتوح أدل دليل . بفصلهم بين الفتحة وأختيها . على ذوقهم الحركات واستثقالهم بعضها واستخفافهم الآخر[٢]، ومنها : أن الألف وهي من الفتحة لا تتحمل الحركة بخلاف الواو والياء فيتحملان الحركة . [٣] ومنها : أنهم قد سووا بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة والكسرة إليها ، فكل واحد منهما يهرب إليه مما هو أثقل منه نحو قولك في جمع (فُعْلة) و(فعْلة ) : (فُعُلات) بضم العين نحو : غرفات و(فعلات) بكسرها نحو: كسرات ، ثم يستثقل توالي الضمتين والكسرتين فيهرب عنهما تارة إلى الفتح فتقول : غُرَفات وكسَرات ، وتارة أخرى إلى السكون فتقول : غُرْفات وكسْرات . [٤]

أما ثقل الضمة وواو مد عن الكسرة وياء المد فقد أشار إليه سيبويه بقوله : " قالوا شححت كما قالوا بخلت ، وذلك لأن الكسرة أخف عليهم من الضمة ألا ترى أن(فَعل) أكثر في الكلام من (فَعُل) ، والياء أخف عليهم من الواو وأكثر" . [٥] ويقول ابن جني: " قد أحطنا علما بأن الضمة أثقل من الكسرة . [٦]

وقد بين الإمام الرازي ( ت ٦٠٤هـ ) وجه ثقل الضمة عن الكسرة والفتحة

---

[١] الخصائص ١ / ٦٩ .

[٢] الخصائص ١ / ٧٦ ، واللامات للزجاج صـ ٣٥ .

[٣] الخصائص ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٦ بتصرف ، و٢ / ٣٢١ .

[٤] الخصائص ١ / ٦٠ بتصرف ، والمحتسب ١ / ٥٦ .

[٥] الكتاب ٤ / ٣٧ .

[٦] الخصائص ٣ / ١٨٠ .

فقال : " أثقل الحركات الضمة ؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة ، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية ، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة ، وكما دلت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه فالتجربة تظهره أيضاً ، واعلم أن الحال فيما ذكرناه يختلف بحسب أمزجة البلدان فإن أهل أذربيجان يغلب على جميع ألفاظهم إشمام الضمة ، وكثير من البلاد يغلب على لغاتهم إشمام الكسرة والله أعلم ". [١]

فالضمة والكسرة تخرجان بتكلف واستعمال للشفتين . على اختلاف بينهما . والفتحة تخرج مع النفس بلا علاج كما ذكر الرازي وقد سبقه إلى ذلك أبو إسحاق الزجاج (ت٣٣٧هـ ) . [٢]

وعلى هذا فالضمة ثقيلة جداً ، والفتحة قريبة من السكون جداً ، والكسرة متوسطة بينهما . [٣] وقد علل ذلك الرازي بقوله : " الحركات أيضا ثلاثة أقواها الضمة وأضعفها الفتحة وأوسطها الكسرة فألحقوا كل نوع بشبيهه فجعلوا الرفع الذي هو أقوى الحركات للفاعل الذي هو أقوى الأقسام ، والفتح الذي هو أضعف الحركات للمفعول الذي هو أضعف الأقسام ، والجر الذي هو المتوسط للمضاف إليه الذي هو المتوسط من الأقسام ... فالفاعل مقدم على المفعول ؛ لأن الفعل لا يستغنى عن الفاعل وقد يستغنى عن المفعول ، فالتلفظ بالفاعل يوجد والنفس قوية فلا جرم أعطوه أثقل الحركات عند قوة النفس ، وجعلوا أخف الحركات لما يتلفظ به بعد ذلك . فمراتب الموجودات ثلاثة : مؤثر لا يتأثر وهو الأقوى وهو درجة الفاعل ، ومتأثر

---

[١] التفسير الكبير ١ / ٤٨ .

[٢] اللامات للزجاج صـ ٣٥ .

[٣] اللباب . العكبري ٢ / ٧٦ .

**لا يتأثر وهو الأضعف وهو درجة المفعول وثالث يؤثر باعتبار ويتأثر باعتبار وهو المتوسط وهو درجة المضاف إليه "** [1]

[1] **التفسير الكبير ١ / ٥٣ بتصرف .**

# المبحث الثالث

# الوحـدات القطعـية في الفاصلة القرآنية

للنص القرآني خصوصية متفردة في شتى أركانه ، في كلماته ومفرداته، وتراكيبه وجمله ، في سوره وآياته ، في نظمه ، في رسمه ، في تقسيم الآيات ، في فَصْله ووصْله ، في بلاغاته ، في نهاية آياته ؛ فواصله ، في كل ما يتعلق به هذا التفرد والتميز لابد من البحث في وسائله وسبله ، للوقوف على نطاقات الإعجاز فيه،ومدارات خصوصيته الفريدة .

لكننا نفرد الحديث هنا عن نوع واحد من بين هذه الإعجازات ألا وهو الإعجاز في توظيف الفواصل القرآنية ، تلك الفواصل التي تحوي ألواناً إعجازية ودلالية بالغة الجمال ، ورائقة السياق ، مما يمنحها خصوصية الإسهام في منظومة الإعجاز القرآني بكل فاعلية . فهي من أساليب القرآن الممتعة ، وتراكيبه الرصينة .

فاستعمال القرآن الكريم للفاصلة . التي أغنى الله بها العرب عن ولعهم بالقوافي والأسجاع وعشقهم لموسيقى الألفاظ . مظهر من مظاهر الإعجاز بموقعها من الآية واتصالها بها ، وباختيارها دون غيرها ، فليست معجزة بمفردها . إذ الفاصلة القرآنية هي كلمة في آخر الآية ، هذه الكلمة كغيرها من كلمات القرآن تختار اختياراً دقيقاً لتؤدي الرسالة التي جاءت من أجلها ، ويظهر فيها إعجاز القرآن .

ولما كانت الفواصل القرآنية بعض الآيات كان حكمها حكم القرآن كله من الفصاحة والتلاؤم ورصف الحروف وتعديلها في التأليف وسبكها كما ذكر الرماني . [1] كما أن القرآن الكريم قد راعى الفاصلة تحقيقاً لجمال النظم ورعاية للجرس

[1] النكت في إعجاز القرآن صـ ٨٧ .

الصوتي والمشاكلة اللفظية .

وهي باب واسع من أبواب علوم القرآن ، اهتم به علماء المسلمين قديماً وحديثا فتناولوه في كتبهم وأبحاثهم للكشف عن خواصها ، ومعرفة أسباب إعجازها ، والوقوف على جمالها التوقيعي أو الصوتي .

وقد نشأ علم الفاصلة أول ما نشأ في البحوث المتعلقة بعلوم القرآن الكريم وقراءاته كـ البرهان في علوم القرآن للزركشي ، والفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم الجوزية ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي وغيرها ، وإن كان الخليل ( ت ١٧٠هـ) هو أول من أشار لهذا المصطلح إذ يقول : " سجع الرجل ؛ إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل : " لصّها بطل ، وتمرها دقل ، إن كَثُر الجيش بها جاعوا ، وإن قلّوا ضاعوا " [١]. فهو يشير إلى الفواصل الكلامية غير الموزونة ، ثم انتقل الحديث عنها إلى الدرس البلاغي نظراً لاهتمامهم البالغ بقضية السجع في النثر العربي ، أو الدور الذي تقوم به الفاصلة في تحديد جمال الإيقاع وإفهام المعنى ، وكلاهما لتحسين الكلام على اختلاف بينهم في التفرقة بين السجع والفاصلة أو عدم التفرقة بينهما ؛ لذا كان تقسيمهم للفاصلة كتقسيمهم للسجع في النثر العربي يقول الزركشي : " قسم البديعيون السجع والفواصل أَيضًا إلى مُتَوَازٍ وَمُطَرَّفٍ وَمُتَوَازِنٍ . وأشرفها المُتوازِي وهو أَن تتفق الكلمتان في البنية والحروف الأخير كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ موضوعة﴾ [٢] ، وقوله تعالى :﴿ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٣]

وَالْمُطَرَّفُ أن يَتفقا في الحروف الأخير لا في البنية كقوله ﷻ: ﴿ مَا لَكُمْ لَا

---

[١] العين مادة ( سجع ) باب العين والجيم والسين .

[٢] سورة الغاشية الآيتان (١٣ ، ١٤) .

[٣] سورة آل عمران من الآية (٤٩) .

تَرجُونَ لله وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ [١]

وَالْمُتَوَازِنُ أن يراعى في مقاطع الكلام البنية فقط كقوله ﷻ : ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ* وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المستقيم﴾ [٣] فلفظ الكتاب والصراط متوازنان ولفظ المستبين والمستقيم متوازنان ....

كما ذكروا أن فواصل القرآن العظيم منحصرة في أربعة أَشياء : التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير. والفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديرًا ، وإن كان في أثناء الصدرِ سمي توشيحًا ، وإن أفادت معنى زائدًا بعد تمامِ معنى الكلامِ سمي إيغالاً ، وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما صدره يدل على عجزه والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوِية " . [٤]

**والفاصلة لغة** : كلمة صحيحة تدل على تميزِ الشيء من الشيء وإبانته عنه . يقال : فصلت الشيء فصلا . والفيصل : الحاكم . والفصيل : ولد الناقة إذا افتصل عن أمه . والمفصل : اللسان ؛ لأَن بِه تفصل الأمور وتميز . [٥]

**اصطلاحا** : فقد تعددت تعريفاتها على النحو الآتي : يرى الرماني (ت ٣٨٤هـ) أن " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة له "

---

[١] سورة الآيتان (١٣ ، ١٤) .

[٢] سورة الغاشية الآيتان (١٥ ، ١٦) .

[٣] سورة الصافات الآيتان (١١٧ ، ١١٨)

[٤] البرهان في علوم القرآن ١/٧٥ . ٧٩ بتصرف .

[٢] مقاييس اللغة ( ف ص ل ) .

[١] . فهو هنا يؤكد على دور الفاصلة في المعنى ، بالإضافة إلى دورها في الإيقاع المتولد من المقاطع المتشاكلة ، ويفرق بينها وبين السجع .

كذا عرفها الباقلاني (ت٤٠٣ هـ) وإن لم يشر في تعريفه إلى الفرق بينها وبين السجع كما فعل الرماني . [٢] أما الزركشي(ت ٧٩٤هـ) فقد أشار في تعريفه إلى كون الفاصلة حالة خاصة بالنص القرآني ، وأحد نطاقات إعجازه وتفرّده عما سواه فذكر أن الفاصلة " كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع " [٣]. وعرفها أحد الباحثين المحدثين بقوله . " الفاصلة هي : تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن ، وتنزل الفاصلة من آياتها ، وتكمل معناها ويتم بها النغم الموسيقي للآية فتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وحروف المد ، وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها " . [٤]

وعرفها آخر موضحاً دورها في الإيقاع وحسن وقعها في السمع فقال : " هي لفظ آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكن الفاصلة تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة " . [٥]

والواضح الجلي من التعريفات السابقة هو اتفاقها على :

١- كون الفاصلة هي خاتمة الآية وآخرها .

٢- كون الفاصلة متشاكلة المقاطع إيقاعاً .

---

[٣] النكت في إعجاز القرآن صـ ٩١ - ٩٦ .

[٤] إعجاز القرآن صـ ٢٧٠ .

[٥] البرهان في علوم القرآن ١ / ٥٣ .

[٤] من بلاغة القرآن ـ بدوي أحمد أحمد ص٢٤٥ .

[٥] الفواصل القرآنية ـ دراسة بلاغية ـ د/السيد خضر صـ ١ .

٣- لها دور في تحسين الكلام ، وهو جوهر عملها .

وقد فرق أبوعمرو الداني (ت٤٤٤هـ) بين الفاصلة ورؤوس الآي وإن كان بعضهم يجعلهما بمعنى واحد إذ يقول : " أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس . وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها . وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية . فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين "[١].

## أهمية الفاصلة :

أشار على بن عيسى الرماني إلى أهمية الفاصلة القرآنية فقال : " تقوم الفاصلة بتحقيق فوائد جمة منها ما يتصل بجانب الإيقاع ، ومنها ما يتصل بجانب الاستدلال على تمام المعنى . فأما الجانب الإيقاعي الذي تؤديه الفاصلة فهو دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبداؤها في الآي بالنظائر" . [٢] وقال الزركشي: " وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ؛ لأنه يفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها " . [٣]

ويقول د / تمام حسان : " تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم ؛ لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم للسياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء ، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالي لا يبعد كثيراً عما نحسه من وزن الشعر وقافيته ، ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك

---

[٢] البرهان في علوم القرآن ٥٣/١ ، ٥٤ .

[٢] النكت في إعجاز القرآن من خلال كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٩٩ .

[٣] البرهان في علوم القرآن ١ / ٥٤ .

بالحرية من كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية . ولأمر ما كان الوقف على رؤوس الآي سنة إلا أن يفسد به المعنى . ذلك أن الوصول بالقراءة إلى فاصلة الآية يتفق في الأغلب الأعم مع طاقة النفس الواحد لدى القارئ فيقف القارئ عند الفاصلة ليتزود بزاد نفسي جديد ، وليحس عند الفاصلة بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل تحف به روائق الإيقاع وروائع من كل جانب " . [١]

ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً ؛ لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا ؛ لأنها منه وخاصة في الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه . [٢]

كما بين أحد الباحثين المحدثين أهميتها رابطاً ذلك بإفائها بمعنى الآية فقال : " تأتي في القرآن مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقلة ، ويتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقا تاماً ، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم ، فهي تؤدي في مكانها جزءا من معنى الآية ينقص ويختل بنقصانها " . [٣]

فالفاصلة تبرز ابتداء الكلام وانتهاءه فيستريح نفس القارئ بها ، ويلذ سمعها لتشاكلها ، أما علاقتها بالمعنى فهى تحقق معنى الآية كلها ، ويذكر مضمونها في هذه الكلمة الأخيرة فتأتي في مكانها المرسوم لها فيحس القارئ بتمام المعنى ، ولذا فإنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه كما ذكر الزركشي نقلا

---

[١] البيان في روائع القرآن ١ / ١٩٥ ، ١٩٦ .

[٢] الإتقان ٣ / ٢٦٢

[٣] من بلاغة القرآن صـ ٧٥ .

عن الزمخشري . [1]

وعلى هذا فالفاصلة تكون تارة لتمام المعنى ، وتارة أخرى لجمال النص أو الإيقاع وهذا ما أكده الدرس اللغوي الحديث إذ يقول د / تمام إحسان : " إن الفاصلة قد تكون جزءً من تركيب الآية مكملاً لبنيتها فلا يتصور تمام معنى الآية إلا به ، وقد تأتي بعد تمام المعنى فتكون تذييلاً للآية كالتعليق أو التعقيب على محتواها ... وحينئذ تكون الفاصلة قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بأداء النص القرآني . [2]

هذا وقد كثرت آراء العلماء حول صحة وقوع السجع في القرآن الكريم ونفي وقوعه فيه إذ انقسموا في ذلك إلى فريقين : الجمهور على المنع ؛ لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ؛ ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها . قال الرماني في إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال : في القرآن سجع ، وفرقوا بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها قال : " ولذا كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا " وتبعه على ذلك القاضي أبو بكرالباقلاني ونقله عن نص أبي الحسن الأشعري وأصحابنا كلهم قال : وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما قال : وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون ولمكان السجع قيل في موضع : { هَارُونَ وَمُوسَى } ،

---

[1] البرهان ١ / ٧٢

[2] البيان في روائع القرآن ١ / ١٩٦ ـ ٢٠١ بتصرف .

ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل: {مُوسَى وَهَارُونَ} قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر؛ لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصودا إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي تسميه شعرا ، وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر ، وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه .

وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع فقال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على حد واحد . وقال ابن دريد : سجعت الحمامة معناه : رددت صوتها . قال القاضي : وهذا غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؛ لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر وقد قال ﷺ : " أسجع كسجع الكهان ! " فجعله مذموما . قال : وما توهموا أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو ؛ لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن ؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى ، وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى . [1]

فالتناسب الصوتي في الفاصلة القرآنية ليس من قبيل السجع ولا من قبيل القافية ولا أدل على صحة ذلك من أن الفاصلة في القرآن الكريم ليست على وتيرة

---

[1] الإتقان ٣ / ٢٦٢ وما بعدها ، وانظر إعجاز القرآن للباقلاني صـ ٥٨ .

واحدة ، كما هو الحال في كل من السجع والتقفية ، فهي لا تلتزم شيئاً من ذلك ، حيث تجري في عدد من آيات القرآن على نمط ، ثم يتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد ، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد . يقول الله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[1].[2]

أما اتحادها كثيراً في البنية وما ختمت به من الحروف في كثير من آيات السورة الواحدة فالغرض المقصود منه هو الحفاظ على جرس اللفظ لسلاسته في النطق وخفته على السمع والارتياح لقبوله . [3] فالملاحظ في رءوس الآيات . (أي الفاصلة) . التناسب الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الآذان إلى حد يأخذ بالنفس ، ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة) وهما من حس اللسان وحسن الأذن . [4]

## وظيفة الفاصلة :

للفاصلة في القرآن الكريم وظيفتان ، إحداهما لفظية وأخرى معنوية .

أما وظيفتها من حيث اللفظ فتعتمد على العوامل الآتية :

---

[1] سورة ق الآيات (١ ـ ٦) .

[2] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٢٦٢ .

[3] الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية صـ ١٥٠ .

[4] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٢٦٢ .

أولاً : أنها تأتي لتحسين للكلام وراحة للنفس عند التلاوة . حيث يحسن السكوت عليها وقد كمل المعنى أو قارب الكمال ، بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه .

ثانياً : تؤذن الفاصلة بانتهاء الآية وتميز بينها وبين التي تليها كما تميز قافية الشعر بيتاً من بيت ، مع اختصاص الفاصلة بأحكام الربط ودقة النظم وجمال التلاؤم .

ثالثاً : تساعد الفاصلة على تلاوة القرآن مرتلاً مجوداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل . وهذا الجمال التوقيعى في القرآن لا يخفى على أحد .

ومن أجل هذه الوظيفة اختصت الفاصلة بأمورأهمها :

(أ) ختمها . في الغالب . بحروف المد واللين وإلحاق النون والميم بها .

(ب) أن الحروف التي تقع بها الفواصل إما متماثلة أو متقاربة ولا تخرج عنهما وبهذا تم لها حسن التناسق وجمال الإيقاع وسيأتي توضيح ذلك وبين علته

(ج) أنها تتقدم عليها ألفاظ تُمهد لها ، وتُعظم من وقعها في السمع . وتلك الألفاظ سماها المتقدمون رد الأعجاز على الصدور. وسماها المتأخرون التصدير.

(د) أن تتكرر في بعض المواضع فاصلة بعينها كما في سور: الرحمن والقمر والمرسلات ، لكن هذا التكرار ليس مختصاً بهذه الوظيفة الصوتيه . بل لها وللوظيفة المعنوية كما يبدو عند البحث والتأمل . [1]

## وظيفتها المعنوية :

ذكرنا أن الفاصلة القرآنية تحقق غرضا لفظيا يتمثل في دقة النظم وحسن التناسق وجمال الإيقاع ، والحق أنها لم تأت لغرض لفظي فحسب ، وإنما جاءت

[1] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/٢٢٤ . ٢٢٥ بتصرف .

الفاصلة في كتاب الله أولا لغرض معنوي يحتمه السياق ، وتقتضيه الحكمة وهو أسمى من الغرض اللفظي ، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع .

وعلى هذا نقول إن الفواصل القرآنية لم تأت عبثاً أو لتتميم السجع وإنما جاءت لتؤدي معنى تتم به الفائدة ، ويطلبه السياق . ولا أدل على صحة ذلك من قول الباقلاني : " وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها " . [1] كما نقل الزركشي عن الزمخشري ما يؤكد ذلك ويعضده فقال : " ذكر الزمخشرِي في كشافه القديمِ أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النَهج الذي يَقتضيه حسن النظمِ والتئامه كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع السلسلة على اللسان إلا مع مجِيئِها منقادة لِلمعاني الصحيحة المنتظمة فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤاده على بال فليس من البلاغة في فتيلٍ أو نقير ومع ذلك يكون قوله : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ وقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إيثارًا للفاصلة لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته وإنما عُدِلَ إلى هذا لقصد الاختصاص " . [2]

فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية ، ورعايتها تؤدي أحياناً إلى تقديم عنصر أو تأخيره ، ليس فقط رعاية للتناسق الصوتي ، بل رعاية للمعنى أيضاً ، وهذا هو الإعجاز. ومن ذلك تقديم ما قدم وتأخير ما أخر فيها كقوله تعالى: ﴿ ۚإِنَّ

---

[1] النكت في إعجاز القرآن صـ ٩٠ .

[2] البرهان في علوم القرآن ١/ ٧١ .

لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ [١] حيث قدم الآخرة على الأولى ومنطق الكلام يقتضي العكس . العلة في هذا التقديم كما ذكر أحد الباحثين المحدثين هي مراعاة المعنى الذي سيقت السورة الكريم من أجله إذ يقول : " إن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها ، فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذب وأعرض بالتنكيل به في الآخرة ، في مقابل الثواب الذي ينتظر من أحسن وتصدق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتي وتناسب الإيقاع في الفواصل ، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال في غير هذا النظام القرآني المعجز. ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فقط ، فهو قصور عن فهم المعنى المراد، فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد " . [٢]

ومن ذلك . أيضاً . الترتيب في تقديم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم . مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. [٤] فقدم الرحمة في آية سبأ، لأنها منشأ المغفرة . أما الغفور فتقدم في كل موضع في القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصي وكفران النعم . [٥]

فالفواصل القرآنية تأتي متآلفة تمام التآلف مع آياتها ، مؤدية دورها في إتمام المعنى وإيصاله على نحو بديع معجز ، حتى لو تكلف متكلف أن يستبدل

---

[١] سورة الليل الآية (١٣) .

[٢] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ٢٦٣ .

[٣] سورة سبأ من الآية (٢) .

[٤] سورة الحجرات من الآية (١٤) .

[٥] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ٢٦٣ .

الفاصلة بغيرها ما استطاع وما وجد غيرها يؤدي المعنى والإيقاع معاً . قال الزركشي : " اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يسخرج بالتأمل للبيب " .[1]

وهذا ما أكده أحد الباحثين المحدثين يقول علي الجندي: " من مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام ، وقوة تعطّف الكلام عليها ، كأنهما معاً جملة مفرغة يسري فيها روح واحد ، ونغم واحد ينحدر إلى الأسماع انحداراً ، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها لتتمم معناه ، حتى لتبلغ من وقوعها موقعها ، واطمئنانها في موضعها أنها لو حذفت لاختل معنى الكلام ، واضطرب فهمه ، واستغلق بيانه ، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقاً مع الطبع الملهم والذوق السليم ... ثم يتابع فيقول . : بل قد يبلغ من تعيّنها في مكانها وفرض نفسها عليه ، أنها لو بدّل بها غيرها لأدرك السامع الحصيف الثاقب الفطنة أن كلاماً غريباً ينقصه التناسب حلّ محلها ، فأنكر ذلك سمعه وضاق به صدره .. من ذلك أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ : ﴿ حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [2] ، قرأها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي:لا يكون !! فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال : يكون " . [3]

من هنا يمكننا القول : إن القرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على

---

[1] البرهان في علوم القرآن : ٧٨/١ .

[2] سورة القمر الآيتان (١٣ ، ١٤) .

[3] نقلا عن أشيف أهل التفسير ٦٥١٤ .

إعجاز بياني ، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية ، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة ، حتى إن السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام وسمع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام .

فالفاصلة القرآنية إذن لها وظيفتان : الوظيفة الرئيسة معنوية يحتمها السياق ، ووظيفة أخرى لفظية تتصل بجمال الإيقاع ، ولا يجوز أن نقول إن الفاصلة جاءت لتتفق مع رؤوس الآي الأخرى فقط دون الانتباه للغرض المعنوي.

## الملامح الصوتية للفاصلة القرآنية :

من المعلوم أن رءوس الآيات توقيفية ، أي كما جاءت بالتلقي عن سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ ، والملاحظ في رءوس الآيات التناسب الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الآذان إلى حد يأخذ بالنفس . فمن أجل تمييز الفاصلة ، ومعرفتها صوتياً ، علينا تتبع أصوات الحروف والحركات التي تكوّن هذه الفواصل ، بهذا التناسق الصوتي المبدع ، وبهذه الدقة التي نلحظها في تنقلها في القرآن عبر مسيرتها الإيقاعية . إذ بتتبعها تبرز عدة ملامح صوتية تتحقق في الفواصل وأهمها ما يلي :

**أولا** : ـ بتتبع الفواصل القرآنية نجد كثرة استعمال القرآن الكريم في فواصله لوحدات صوتية معينة ، وأن هناك وحدات صوتية أخرى قل استعمالها في فواصله ، ووحدات ثالثة لم ترد فاصلة قط . وذلك مراعاة للبعد الصوتي في الفاصلة القرآنية المتمثل في حسن جرس هذه الوحدات التي كثر استعمالها فيها وطيب وقعها في السمع ولذاذة مستمعها وجمال إيقاعها ورقة نغمتها تارة ، أولإثارة انتباه السامع ودعوته إلى التأمل في مباني كلمات القرآن الكريم تارة ثانية ، أومرعاة للمعنى وإيصاله على نحو بديع معجز تارة ثالثة . كما أن هذه الوحدات التي كثر استعمالها في الفواصل القرآنية تتميز بأن أكثرها يتبعها عند الوقف عليها صويت ذو نغمة

محببة تلذ الأذن سماعها كـ حروف المد واللين والنون والميم والراء واللام والباء وغيرها مما يتميز بصفة انفرادية ذات وقع سمعي متميز ؛ لذا قسم علماء العربية حروف لغتهم من هذه الناحية إلى ثلاثة أقسام هي : زَمَانِيَّةُ صرفة ، وآنِيَّةُ صرفة ، وآنِيَّةُ تشبه الزَمَانِيَّة . فالحروف إما زمانية صرفة كالحروف المصوتة وكالفاء والقاف والسين والشين ، فإن المصوتة زمانية عارضة للصوت باقية معه زماناً ، وكذلك الصوامت المذكورة ونظائرهما مما يمكن تمديدها بلا توهم تكرار فإن الغالب على الظن أنها زمانية أيضا ، وإما آنية صرفة كالتاء والطاء والدال وغيرها من الصوامت التي لا يمكن تمديدها أصلا فإنها لا توجد إلا في آخر زمان حبس النفس كما في لفظ بنت وقرط وولد أو في أوله كما تراب وطرب ودول أو في آن يتوسطها كما إذا وقعت هذه الصوامت في أوساط الكلمات فهي بالنسبة إلى الصوت كالنقطة ... وإما آنية تشبه الزمانية وهي أن تتوارد أفراد آنية مرارا فيظن أنها فرد واحد زماني كالراء والخاء فإن الغالب على الظن أن الراء التي في آخر الدار مثلا راآت متوالية كل واحد منها آني الوجود إلا أن الحس لا يشعر بامتياز أزمنتها فيظنها حرفا واحدا زمانيا وكذا الحال في الحاء والخاء . [1]

وهذا إحصاء أجراه أحد الباحثين المحدثين على الحروف المستعملة في الفواصل ونسب استعمال كل منها ، مع العلم بأن عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٤٧) آية .

| الحرف | وروده فاصلة | النسبة المئوية | الحرف | وروده فاصلة | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|---|---|
| النون | ٣١٨٢ | ٥٠,٩٣ % | الميم | ٧٧٥ | %١٢,٤٠ |
| الراء | ٦٩٠ | %١١,٠٤ | الدال | ٢٨٦ | %٤,٦٢ |

[1] التفسير الكبير ١/ ٤٣ ، وكتاب المواقف ـ الإيجي ٢١/٢ ، ٢٢ .

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| الألف المقصورة | ٢٤٥ | ٣,٩٢% | الباء | ٢٣٩ | ٣,٨٢% |
| اللام | ٢١٢ | ٣.٣٩% | الهاء | ١٧٣ | ٢,٧٦% |
| الياء | ٨٧ | ١,٣٩% | القاف | ٦٦ | ١,٠٥% |
| ألف المد | ٤٢ | ٦٧ ، % | التاء | ٤٢ | ٦٧ ،% |
| العين | ٣٣ | ٥٢ ، % | الفاء | ٢٢ | ٣٥، % |
| الجيم | ٢٠ | ٣٢، % | الطاء | ١٩ | ٣٢، % |
| الزاي | ١٨ | ٢٨، % | الهمزة | ١٧ | ٢٧، % |
| الظاء | ١٧ | ٢٧، % | السين | ١٤ | ٢٢، % |
| الصاد | ١٢ | ١٩، % | الكاف | ٩ | ١٤، % |
| الواو | ٦ | ٠٩٦، % | الثاء | ٦ | ٠٩٦، % |
| الحاء | ٥ | ٠٨٠، % | الضاد | ٤ | ٠٦٤، % |
| الشين | ٣ | ٠٤٨، % | الذال | ٢ | ٠٣٢، % |
| الغين | ١ | ٠١٦، % | الخاء | × | × |

**يلاحظ في هذا الإحصاء أن الباحث قد عد تاء التأنيث التي يوقف عليها بالسكون هاءً كما في " الحاقة والقارعة" لأن مبنى الفواصل على الوقف ، وهي تصير بالوقف هاءا لا تاءً . وأنه لم يعد حرف المد الناشئ عن الوقف على التنوين فاصلة لأنه ليس من بنية الكلمة ، ولا يظهر إلا في حالة النصب ، واحتسب بدلاً منه الحرف السابق عليه ، وبين أنه قد اعتد في ذلك على موقف العروضيين حين فعلوا ذلك في القوافي .** [١]

**وقد قسم المستشرق (فوللرز) السور القرآنية إلى ست مجموعات حسب نهايات الفاصلة وهي :**

**المجموعة الأولى : وتضم السور القرآنية الي بنيت بكاملها أو أغلبها على النهاية (الياء والنون) أو (الواو والنون ) وعددها ثمان وعشرون سورة هي :**

[١] الفواصل القرآنية دراسة بلاغية . د/ السيد خضر صـ ٢ .

الفاتحة / الأنعام / الأعراف / التوبة / يونس / يوسف / الأنبياء / المؤمنون / الشعراء / النمل / القصص / العنكبوت / الروم / السجدة / يس / الزخرف / الدخان / الجاثية / الحجرات / والأحقاف / ق / الجمعة / المنافقون / القلم / نوح / المطففين / التين / والماعون .

**المجموعة الثانية** : وعددها أربع وثلاثون سورة وتضم السور التي تنتهي فواصل آياتها بنهايات منتظمة . بقدر ما . إلى جانب النهايتين ( الياء والنون ) و (الواو والنون) وهي : البقرة / آل عمران / المائدة / الأنفال / هود / الرعد / إبراهيم / الحجر / النحل / الحج / النور / لقمان / سبأ / فاطر / ص / الزمر / غافر / فصلت / الشورى / الطور / الرحمن / الحديد / المجادلة / الحشر / الممتحنة / الصف / التغابن / التحريم / الملك /البروج / الفيل / قريش / الكافرون / الناس .

**المجموعة الثالثة** : وعددها تسع عشرة سورة تنتهي جميع فواصلها أو معظمها بصوت صائت هي : النساء / الكهف / مريم / طه / الفرقان / الأحزاب / الفتح / الجن / القيامة / الإنسان / النازعات / عبس /الأعلى / الشمس / الليل / الضحى / البينة / الزلزلة / الهمزة . وفي سور : النساء / وفاطر / والمزمل / والنصر تبدو النهايات حركة غير أساسية .

**المجموعة الرابعة** : وعددها ثماني عشرة سورة وفيها تنتهي الفاصلة بصوت صامت تارة ، وبصائت تارة أخرى وهي : الصافات / الذاريات / النجم / الواقعة / الطلاق الحاقة / المعارج / المزمل / المدثر / المرسلات / النبأ / التكوير/ الانفطار/ الانشقاق/ الفجر/ البلد/ العاديات/ القارعة . وجميعها سور مكية فيما عدا سورة الطلاق .

**المجموعة الخامسة** : وعددها عشر سور بنيت فواصلها على حركة قصيرة وصوت صامت وهي : محمد/ القمر/ الطارق/ القدر/ العصر/ الكوثر/ النصر/

**المسد/ الإخلاص/ الفلق .**

**المجموعة السادسة : وهي سور بنيت فواصلها على نهايات متنوعة من المجموعة الأولى ، والثالثة ، والخامسة .** [1]

**وفي ضوء ما سبق يمكن استخلاص بعض النتائج ومن أهمها :**

**أ . أن حرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن ، حيث جاء فاصلة بنسبة (٥١%) تقريباً ، وهذه النتيجة تصديق لكلام سيبويه وغيره ممن لاحظوا ذلك ، وإذا علمنا أن مجمل استعمال حرف النون في القرآن الكريم كله هو (٢٧٢٦٥) ، فإن نسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلية تكون (١١,٦٧ %) وهي نسبة عالية إذا قورن بحروف أخرى ، أضف إلى ذلك أن التنوين الذي يلحق فواصل بعض السور كالإسراء والكهف ومريم ... هذا التنوين هو نون ساكنة أيضاً وإن كان يتحول بالوقف إلى الألف الممدودة ، وبذا فإن النون والتنوين يفوزان بأكبر نصيب في الفواصل لما فيهما من الغنة الجميلة في السمع .**

**فالنون تعد أنسب الصوامت العربية وقوعاً في الفاصلة القرآنية ومرجع ذلك إلى عدة أمور أهمها :**

**١. أن صوت النون يتميز عن أصوات العربية عامة والمتوسطة منها خاصة بأنه يجمع بين خاصيتي الوضوح السمعي ، والحد الأعلى للتوسط في الطول . فبرغم أن (النون) تصنف تقليديا ضمن الساكن إلا أن لها تركيبا سمعيا يشبه ذلك الموجود في العلل هو الذي منحها الوضوح السمعي . ولئن كان هذا الوضوح لا**

---

[1] ينظر : السجع القرآني دراسة أسلوبية صـ ١٢٣ ، ١٢٤ ، نقلا عن صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم . د/ محمد العبد . المجلة العربية للعلوم الإنسانية ع ٣٦ م ٩ ص ٩١ سنة ١٩٨٩ .

يرتقي إلى درجة الوضوح السمعي للراء إلا أن النون تتميز بشيئ آخر على أقرانها من (أشباه الصوائت) فهي أطول الحبيسات الأربعة من حيث المدة الزمنية التي تستغرقها في النطق إذ يتراوح المدى الزمني السمعي لها ٨٠ – ١٠٠/١٠٠٠ م/ث . وبذا يجتمع في النون خاصيتان هما الوضوح السمعي ، والحد الأعلى للتوسط في النطق . [١]

٢. تتمتع النون بميزة أدائية في نطقها هي ظاهرة الغنة وهي عبارة عن إطالة للصوت مع تردد موسيقي محبب ، ومن ثم كان الزمن الذي يستغرقه النطق بنون الغنة ضعف ضف ما تحتاج إليه النون المظهرة . [٢] وهي من الناحية السمعية : أثر سمعي يعرف مباشرة بواسطة أذن المصغي ، فهي تصبغ بعض الأصوات بلون معين بواسطة الفراغات التي تصنعها أعضاء النطق ، والتي تعمل صناديق رنين ترشح وتقوي بعض النغمات التي تمر بها وذلك في النون والميم خاصة . [٣] ومن الناحية النطقية عبارة عن تكييف رنيني يميز الصوت الكلامي على مستوى الإفراد ويلونه على مستوى الأداء ؛ لذا كان حرف النون من أكثر حروف العربية وروداً في القرآن الكريم ولغة العرب . ويشاركها في هذه الخاصية حرف الميم الذي كان تالياً لحرف النون في النص القرآني وفي الفاصلة خاصة إلا أن غنة النون أكمل من غنة الميم ؛ لأنها أغن من الميم كما ذكر المرعشي [٤] ، كما ذكر أيضا أنها . أي الغنة . لا تضبط إلا بالمشافهة من فم الشيخ المتقن المجود إذ ينبغي أن تؤدى سلسلة في نطقها وإخراجها من

---

[١] دراسة الصوت اللغوي صـ ٣١٣ .

[٢] الأصوات اللغوية صـ ٥٩ .

[٣] من أحكام علم التجويد ( الإخفاء ) ص١٩ ، ٢٠ .

[٤] جهد المقل صـ ٢٨٨ .

غير تمطيط ولا لوك ، ومن غير زيادة ولا نقصان حسب مرتبتها ، وأن تركها من اللحن الخفي . [١] ؛ لذا كانت النون من أنسب الأصوات العربية وقوعا في الفاصلة القرآنية .

ب . أن حرف الميم قد جاء تالياً للنون بنسبة (١٢,٤٠%) ، يليه الراء بنسبة (١١,٠٤%) وهما من أعلى الأصوات وضوحا سمعيا بين الصوامت ، والدال بنسبة (٤,٦٢%) والملاحظ أن الميم حرف شفوي ، والراء والدال من الحروف التي تنطق باعتماد اللسان مع الأسنان ، وكل هذه الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق ، وهذا أمر ملاحظ في الفواصل ، حيث نلاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالاً من الحروف الشفوية والأسنانية ، ولهذا كله علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي .

وعلى هذا نجد أن القرآن الكريم قد استعمل في الفواصل حروفاً ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لاسيما عند الوقف عليها ، فالوقف على أواخر الآيات من سنن القراءة كما هو معلوم ، والدليل على ذلك استعماله النون فاصلة في حوالي (٥١%) من آياته ، تلتها الميم بحوالي (١٢,٥%) وهما أهم حروف الترنم في العربية ، في حين لم يستعمل الخاء فاصلة قط لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها . [٢]

والمراد بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحاً إلى السمع ، حيث إن لكل مجموعة حروف متقاربة المخارج نسبة وضوح سمعي ، كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب : "وليست كل الأصوات الإنسانية على السواء في نسبة

---

[١] السابق صـ ١٩ .

[٢] الفواصل القرآنية صـ ٢ ، ٣ بتصرف .

الوضوح السمعي ، فبعضها أوضح من بعض " . [1]

جـ . أن الصوائت الطويلة لاسيما الألف والياء قد كثر ورودها فاصلة في القرآن الكريم عن معظم الصوامت ، وقد تفوقت الألف على الياء في نسبة الورود ؛ لكونها أسهل الصوائت الطويلة نطقاً ، وتلتها الياء ؛ لأنها أوسط الحركات من حيث سهولة النطق بها .

وقد علق الرافعي على اختيار حروف بعينها دون غيرها في الفاصلة القرآنية فقال : " ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو لينًا أو شدة ، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع ؛ أو الإطناب والبسط ؛ بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها ، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى .... وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب ، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ؛ أو بالمد ، وهو كذلك طبيعي في القرآن ، فإن لم تنته بواحدة من هذه ، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه ، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار ، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير

---

[1] المدخل إلى علم اللغة صـ ١٠١ .

أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي ". [١]

ونلحظ ذلك واضحا في سورة (ق) التي ختم جميع آياتها بحرف من حروف القلقلة ، وقد وظفت هذه الحروف جميعها لخدمة المعنى فجاءت متسقة مع سياق الآيات تمام الاتساق على مستوى الأغراض المختلفة التي تناولتها السورة الكريمة [٢] .

وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة ، وأثرها طبيعي في كل نفس ، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة ؛ ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربًا من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو في أكثره ، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى ، ولكنه انفرد بهذا الوجه للعجز، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر، لكان ذلك خللاً بينًا ، أو ضعفًا ظاهرًا في نسق الوزن وجرس النغمة ، وفي حس السمع وذوق اللسان ، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ، ولرأيت هجنة في السمع ، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تنفق على طبقاتها ، وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا ، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة . [٣]

**ثانيا : –** ختم الفاصلة القرآنية بالحركات الطويلة وهو ما يسمى (حروف المد واللين) قبل الآخر في الأكثر . فبتتبع الفواصل القرآنية نلحظ أنها قد ختمت

---

[١] تاريخ آداب العرب ١٤٣/٢ ، ١٤٤ .

[٢] انظر توضيح ذلك في : الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم صـ ١٢٢ ، ١٢٣ . .

[٣] تاريخ آداب العرب ١٤٣/٢ ، ١٤٤ .

كثيراً بالنون أو الميم وقد سبقتا بحرف من حروف المد حتى عد ذلك سراً صوتياً متجلياً في جزء كبير من فواصل آيات سوره ، ويكاد يطرد هذا في السور الطويلة ، فسورة البقرة تحتوي على مائتين وست وثمانين آية خص النون منها مائة واثنتين وتسعين آية ، والميم أربعاً وخمسين آية ، وغلب النون في سورة آل عمران ويليها الميم ، وكذا في حروف سورة المائدة ، والرحمن التي بلغ عدد آياتها ثمانية وسبعين آية خص النون منها تسعاً وستين آية والميم سبع آيات والراء آيتين .

أما قصار السور فقد كان ختم الفاصلة القرآنية بالنون أو الميم أوهما معاً على التناوب فيما بينهما كثيراً إلا أنه ليس بكثرة السور الطوال وإن جاءت سور بأكملها على هذا النحو كما في سورة التين فقد ختمت الفاصلة في جميع آياتها بالنون ، أما سورة المطففين فقد ختمت الفاصلة فيها بالنون تارة وبالميم تارة ثانية .

وهناك سور أخرى التزمت هذا النهج في كثير من آياتها كما في سورة التكوير في الآيات من ١٩ إلى ٢٩ ، وسورة الانفطار الآيات من ٩ إلى ١٩ وفي كثير غيرهما .

فالغالب على الفواصل القرآنية في قصار السور أن تنتهي بسكون حرف من الحروف الأخرى ، وذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه ، ولا يكون ذلك إلا بحرف قوي يستتبع الشدة أوالقلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم النغمي المؤثر في السمع .

وسر ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم هو السير على طريقة العرب في الترنم والإنشاد ، فالنون والميم هما الصوتان الأنفيان

الوحيدان في اللغة مما يسمح بالتنغيم والترديد . [١] يقول الزركشي : " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب . (أي جمال التوقيع بحسن الأداء) . بذلك قال سيبويه . رحمه اللَّه . أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت وإذا أنشدوا ولم يترنموا فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترنم ، وناس من بني تميم يُبَدِّلُون مكان المَدَّة النون . جاء القرآن على أعذب مقطع وأسهل موقف " [٢]

ويقول أحد الباحثين المحدثين : " كثر ورود الحركات وبخاصة الطويلة [حروف المد : الألف ، والواو، والياء] بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام ، يضاف إلى هذا كثرة ورود الصوامت المتوسطة (النون . الميم . الراء . الواو . الياء) وهي قريبة . من الناحية الفيزيائية . إلى طبيعة الحركات ، التي تسهم في خاصية التنغيم الشجيّ بشكل واضح . يدعم هذا ظواهر صوتية خاصة بالقرآن : المد والغنّة . وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر " . [٣]

ففي كل منهما خاصية التنغيم الشجيّ النابع من المد والغنة . ووجه الشبه بينهما أن في النون غُنَّةً في الخياشيم ، كما أن في حروف المد واللين مدًّا ، والغنة والمد كل واحد منهما فضل صوت في الحرف . ولذلك إذا جاءت النون ثالثة ساكنة ، فيما هو على خمسة أحرف إلا أنها مدغمة نحو: عَجَنَّس ، لم تكن إلا أصلية ؛ لأنها إذ ذاك تتشبث بالحركة ، والنون إذا تحركت كانت من الفم وضعفت الغُنَّة فيها

---

[١] لغة القرآن دراسة توثيقية صـ ١٣٢ ، ١٣٣.

[٢] البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٨ . وكتاب سيبويه ٤ / ٢٠٤ .

[٣] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٦٢ .

. ولذلك لم تُزَد ثالثة ساكنة قبل حرف الحلق ؛ لأنها إذ ذاك تكون من الفم وتضعف فيها الغُنَّة ، فلا تشبه حرف العلة . ولو ورد في الكلام مثل "جَحَنْعَل" مثلا لجعلت النون فيه أصلية كما جعلت في "عجنَّس" كذلك ، لمفارقتها إذ ذاك الغُنَّة التي أشبهت بها حرف العلَّة . فهذه جملة الأماكن التي يُقضى على النون فيها بالزيادة . وما عدا ذلك قُضي عليه بالأصالة ، ولا يقضى عليه بالزيادة إلَا بدليل . [١]

وفي بعض من قصار السور جاءت فاصلة بعض الآيات بالنون تارة ، وبالميم تارة ثانية ولم تسبق بحرف من حروف المد كما في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [٢] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [٣] وكذا ختمت الفاصلة القرآنية في سورة محمد . عليه الصلاة والسلام . بالميم في جميع آياتها الثمانية والثلاثين ولم تسبق بحرف مد .

ولعل لحروف المد واللين خصوصية في هذا الموضع من الفاصلة القرآنية إذ نراها كثيراً في الموضع الذي يسبق الفاصلة ولم يكن بعدها نون ولا ميم كما في سورة البروج قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ

---

[١] الممتع الكبير في التصريف ابن عصفور . صـ ١٧٦ .

[٢] سورة الفجر الآيتان (١٥ ، ١٦ ) .

[٣] سورة الغاشية الآيتان (٢٥ ، ٢٦ ) .

* إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [1] .

ونلحظ هذا جيداً في سورة (ص) التي بلغ عدد آياتها ثمانية وثمانين آية فقد تنوعت فيها الفاصلة القرآنية بين الراء والدال والباء والقاف والجيم وإن التزمت بالميم أحياناً وبالنون كثيراً في الآيات الأخيرة منها وعددها إحدى وعشرون آية بدءً من الآية (٦٧) وحتى نهاية السورة الكريمة إلا أن الحرف الذي يسبق الفاصلة في جميع آياتها كان من حروف المد لا غير ، وكذا ما جاء في سورة (ق) .

وهذه الخصوصية لورود الحركات الطويلة في هذا الموضع من الفاصلة القرآنية تبدو في وضوحها السمعي إذ هي أعلى الأصوات وضوحاً في السمع على الإطلاق ، كما أن في إطالة زمن النطق بها ترنماً وتنغيماً حسناً . فالغرض في اختيارهم حروف المد واللين الموصل ما يتأتى فيها من مد الصوت ، وإنه يمكن فيها من ذلك ما لا يمكن في غيرها كما ذكر التنوخي . [2] يقول أحد الباحثين المحدثين : " تمتاز حروف المد واللين (الصوائت) بميزة الوضوح السمعي وسهولة نطقها وهو ما جعلها أصواتا موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها وهي بهذا تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة التي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك " . [3]

كما أن هذه الحروف سهلة النطق على اللسان إذ يمر الهواء المتدفق عبر

---

[1] سورة البروج الآيات من (١) إلى (٢٢) .

[2] القوافي . التنوخي صـ ١١٢ .

[3] ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون ص٤٣٦.

الرئتين حال النطق بها حرا طليقا في الحلق والفم دون أن يعترضه أي عائق كليا كان أو جزائيا ؛ لذا كانت هي أنسب الحرف للترنم والتطريب يقول العزي : " وسمّيت (الألف ، والواو ، والياء) حروف المدّ واللّين ؛ لأنّها تخرج في لين من غير كُلْفة على اللّسان ، وذلك لاتّساع مخرجها ؛ فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان ، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصَلُبَ " . [1]

[1] اللمحة في شرح الملحة ١٧٣/١ هامش رقم (٣) نقلا عن: شرح مختصر التّصريف العزّيّ ص ١٠٦ .

## ثالثا : التماثل أو التقارب بين الوحدات القطعية في الفاصلة القرآنية

قسم العلماء الفاصلة القرآنية بحسب صوت الحرف الأخير منها إلى قسمين هما : ما تماثلت حروفه في المقاطع ، وما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وهذا ما وضحه الزركشي في قوله : " الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وهذا لا يكون سجعاً ، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أعني المتماثل والمتقارب من أن يأتي طوعاً سهلاً تابعاً للمعاني أو متكلفاً يتبعه المعنى. فالقسم الأول هو المحمود الدال على الثقافة وحسن البيان والثاني هو المذموم فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة . وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة . فمثال المتماثلة قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [2] وقوله ﷻ : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [3] وقوله ﷻ: ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * والليل إذا يسر﴾ [4] إلى آخره وحذفت الياء من {يَسْرِ} طلبًا للموافقة في الفواصل، وقوله ﷻ : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشق الْقَمَرِ﴾ [5] وجميع هذه السورة على الازدواج ، وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس

---

[1] سورة الطور الآيات من (١) إلى (٥) .

[2] سورة طه الآيات من (١) إلى (٥) .

[3] سورة العاديات الآيات من (١) إلى (٥) .

[4] سورة الفجر الآيات من (١) إلى (٤) .

[5] سورة القمر الآية (١) .

* الجوار الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طبق﴾ [2] .... [3] وقوله تعالى :﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ العَزِيزِ الوَهَّابِ * أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ * جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ * وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ * اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [4] ، ومثل ذلك أيضا ما جاء في سورة البلد قال تعالى : ﴿ فَلاَ اقْتَحَمَ العَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [5] .

إذ نلحظ في فواصل هذه الآيات وهي متماثلة نسقاً صوتياً متوازناً (العقبة، ورقبة ، ومسغبة ، ومقربة ، ومتربة ، ومرحمة ، وميمنة ، ومشأمة ) وقد صنع هذا النسق إيقاعاً مجلجلاً نبع من هذه النبرات الصوتية الرتيبة المتمثلة في أصداء

---

[1] سورة التكويرالآيات من (١٥) إلى (١٨) .

[2] سورة الانشقاق الآيات من (١٦) إلى (١٩) .

[3] البرهان ٧٢/١ : ٧٥ بتصرف ، والإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

[4] سورة ص الآيات من (٨) إلى (١٧) .

[5] سورة البلد الآيات من (١١) إلى (٢٠) .

صوتية متلاحقة . ( نتجت من جرس كلمات متقاربة في عدد حروفها وحركاتها وسكناتها ) . ، وقد زادها السكت رنةً وتأثيراً ولطفاً وتناغماً ، وسط شدة هائلة مرعبة .

إن ورود هذه الآيات في نسق صوتي متجانس ، يضفي على الفاصلة القرآنية جمالها وحسها الإيقاعي الهادر ، دون تطلع إلى تعبير مماثل أو مغاير ، فهي تمتلك النفس ، وتأخذ بالإحساس . [1] ومثل ذلك كثير في فواصل القرآن الكريم لاسيما في السور القصار كـ سورة الشمس وسورة الليل وغيرهما .

فبتدبر الفواصل القرآنية في الآيات السابقة نلاحظ الوقوف عند حرف معين لا يتغير في الفاصلة في الفواصل المتعاقبة وإن غلب حرف النون في فواصله على غيره كما سبق ، بل إننا نلحظ ذلك أيضا في سور عدّة بأكملها ونجد ذلك واضحا قي جملة من السور القصار مثل : (القدر ، والعصر ، والفيل ، والليل ، والكوثر ، والإخلاص ، والناس ) . وجملة من السور الوسطى مثل ( الأعلى ، والقمر ) وفيها جميعاً مراعاة للمنهج الصوتي ، والبعد الإيقاعي . فالفواصل المتماثلة تحقق رتابة في الأداء القائم على وحدة النغمة وحسن وقعها في السمع نتيجة تكرار الحرف الواحد في عدة فواصل متوالية ، ويتجلى هذا النغم الصوتي المتميز بأبهى صوره وأروع مظاهره في سورة القمر ، إذ تختتم فيها الفاصلة بصوت ( الراء ) مردداً بين طرف اللسان وأول اللهاة مما يلي الأسنان . وهذا التماثل في الفواصل القرآنية يشبع رغبة القارئ والسامع في الاستمرار على هذه الوتيرة لاسيما إذا سبق بحرف من حروف المد أوالليين مما يمكن القارئ من المد والتنغيم الشجي الذي لا يلبث السامع له والعارف بإلحان العرب في لغتهم إلا أن يقول : " حقاً إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه يعلو ولا يعلى عليه " .

---

[1] الصوت اللغوي في القرآن صـ ٢٠٣ – ٢٣٣ بتصرف .

أما الفواصل المتقاربة في الحروف : فتتمثل في الوقوف عند حرف معين للفاصلة في بعض السور ، والانتقال منه للوقوف عند حرف آخر للفاصلة مقارب للأول في مخرجه في بعضها الآخر . وأمثلته متوافرة في جملة من السور كـ النبأ ، والمرسلات ، والنازعات ، والتكوير ، والانفطار ، والمطففين . ولننظر إلى سورة ( عبس ) وهي تواكب صوت(الهاء) في فواصل عدة آيات ، ثم تنتقل إلى (الراء الملحقة بالتاء القصيرة) بعدها في آيات أخر . يقول تعالى : ﴿ يَومَ يَفرُّ المَرءُ مِن أخيهِ * وأُمهُ وأبيهِ * وصاحِبتِهِ وبَنيهِ * لِكُلِ امرىء مِنهُم يَومئذٍ شأنٌ يُغنيهِ * وُجُوهٌ يومئذٍ مّسفرةٌ *ضاحِكةٌ مستبشرةٌ *وَوُجوهٌ يومئذٍ عليها غَبرةٌ * تَرهَقُها قَترةٌ * أُولئكَ هُمُ الكَفَرةُ الفَجَرةُ ﴾.[1]

ومنها قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنِ الرحيم * مالك يوم الدين ﴾[2] ومثله ما جاء في سورة الحاقة قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ * فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾ [3]

فبتأمل الفواصل السابقة يمكننا أن نقول : إذا كانت الفواصل المتماثلة قد حققت رتابة في الأداء القائم على وحدة النغمة وحسن وقعها في السمع نتيجة لتكرار الحرف الواحد في عدة فواصل متوالية ، فإن الفواصل المتقاربة تكسر هذه الرتابة وتخلق نوعا من الدهشة القائمة على الانتظار والمفاجأة المؤسسة على

---

[1] سورة عبس الآيات من (٣٤) إلى (٤٢) .

[2] سورة الفاتحة الآيتان ( ٢ ، ٣).

[3] سورة الحاقة الآيات رقم ( ٣٣ – ٤٤ ) .

التوقع نتيجة اختلاف الحرف فيها ، ولعل في هذا التغيير من الدلالات الجمالية والفكرية ما يؤكد نسق القرآن الصوتي المعجز . وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائِلين بإطلاق السجع في القرآن ؛ لأن السجع ما تماثلت حروفه كما ذكر الزركشي . [1]

وإذا كان اختلاف الفاصلة يحقق الناحية الجمالية للتشكيل الصوتي كما هو الحال في الفاصلة المتماثلة ، فإن ثمة معاني ودلالات تقف وراء هذا التشكيل في تغاير الفاصلة في السورة القرآنية إذ كثيراً ما يكون تغير الفاصلة في السورة تابعاً لاختلاف الموضوع أو الانتقال من مقطع إلى مقطع آخر مختلف في موضوعه عن سابقه في السورة ، فالسورة القرآنية لا تنحصر كثيراً في موضوع محدد لا تتعداه ، ولذلك تكون الفاصلة القرآنية عنصراً رئيساً في وحدة الموضوع فمن ذلك على سبيل المثال سورة نوح . عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . إذ تتكون هذه السورة الكريمة من ثمان وعشرين آية ، ختمت آياتها الأربع الأولى بالميم في الأية الأولى وبالنون في الآيات الثلاثة الأخرى ، والميم والنون فاصلتان متقاربتان وذلك تبعاً لوحدة الموضوع أو المقطع ، أما الفواصل الأخرى وعددها أربع وعشرون فاصلة فقد ختمت بفاصلة مغايرة تماماً لما سبق إذ ختمت بالألف المنصوبة المنونة التي تتحول إلى حرف مد بالوقف على التنوين ، وكان تماثلها أيضا تبعاً لوحدة موضوعها وإن اختلف في موضوعها عن موضوع ما سبقها يقول أحد الباحثين المحدثين : " تبدأ سورة نوح بإخبار الله . ﷻ . أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، ثم يقصّ طرفاً من خطاب نوح إليهم في الآيات (١-٤) وفواصل هذه الآيات " أليم ، مبين ، أطيعون ، تعلمون " وفيها كان الخطاب مباشراً من نوح إلى قومه ، ولكنهم كذبوه ولم يجد منهم إجابة لدعوته ، ولذا اتجه إلى ربه بالخطاب شاكياً مناجياً ، وهنا

[1] البرهان في علوم القرآن ١/٧٥ .

تتغير الفاصلة ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ﴾ (٥) ويستمر ذلك الخطاب إلى نهاية السورة ويتبع فاصلة واحدة هي الألف المنصوبة المنونة التي تتحول إلى حرف مد بالوقف على التنوين ، فيناسب حرف المد هذا جوّ الشكوى والمناجاة والحزن !! وتساعد الفاصلة في رسم اللوحة ونقل الصورة كاملة ،وهذا بلا شك لون من ألوان الإعجاز في هذا الكتاب الخالد .

ومن ذلك أيضا ما جاء في سورة المدثر إذ تبدأ السورة الكريمة بنداء الله تعالى رسوله وإسداء بعض الأوامر والنواهي إليه في الآيات (١-٧) ونجد الفواصل في هذه اللوحة تنتهي براء قبلها حرف متحرك مع تقارب في الوزن، ومنها " المدثر ، أنذر ، كبّر ، طهّر..." فإذا تغيّر الموضوع ، وبدأت لوحة جديدة بانتقال الحديث إلى تصوير بعض أحوال الآخرة تغير إيقاع الفاصلة فصارت راءً قبلها حرف مدّ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (٨-١٠) فإذا انتهت اللوحة الأخروية وبدأت لوحة تهديد ووعيد للمكذبين تغيرت الفاصلة أيضاً في ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ (١٢) وما تلاها من آيات، وهكذا تشارك الفاصلة في رسم هذه اللوحات البديعة .

وسورة القيامة تبدأ بلوحة القسم وما يتصل به ، ويستغرق ذلك ست آيات بفاصلة واحدة هي الهاء المسبوقة بالميم أو النون المسبوقين بالمدّ في " القيامة، اللوامة ، عظامه ، بنانه ، أمامه ، القيامة " وحين يتغير الموضوع وتأتي لوحة أخروية جواباً على سؤال من مكذب عن يوم القيامة تتغير الفاصلة فتكون راء قبلها حرف متحرك في ﴿ فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ * وَخَسَفَ القَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (٧-٩) ويتوالى الإيقاع بالفاصلة نفسها حتى الآية الثالثة عشرة حيث تنتهي اللوحة القرآنية وتبدأ لوحة جديدة بموضوع جديد فيتغير إيقاع الفاصلة كذلك في﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤) وما بعدها من الآيات حتى الآية التاسعة عشرة ، ثم تبدأ لوحة أخرى(٢٠-٢٥) بفاصلة واحدة هي الهاء وزنة واحدة هي

وزن (فاعلة) في" العاجلة ،الآخرة ، ناضرة ، ناظرة ، باسرة ، فاقرة "حتى إذا بدأت لوحة جديدة تصور حالة الموت تغيرت الفاصلة كذلك في﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (٢٦) وتستمر فاصلة القاف حتى انتهاء اللوحة في الآية الثلاثين ، ثم تبدأ فاصلة جديدة بموضوع جديد إلى آخر السورة هي فاصلة الألف المقصورة ، وهكذا نجد السورة مجموعة موضوعات أو لوحات متتالية ، وأكثر ما يحدد معالمها ويصور حدودها الفاصلةُ المتبعة فيها ! وهذا كله بلا شك من صور الإعجاز والجمال في هذا الكتاب الخالد " . [١]

ومن ذلك أيضا ما جاء في سورة الشرح وهي من أقصر سور القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

فالسورة شأنها شأن السور المكية تمنح القيم الصوتية فيها مكانة في تكوين صورة المعنى وتشكيلها ، على تنوع هذه القيم الصوتية فيها ، ومن أبرز تلك القيم ما تواطأت عليه رؤوس الآيات من التناغم المتنوع تنوعاً مرهوناً بالجو الذي يشيع في كل مقطع من مقاطعها على قصرها وقلة عدد آياتها . مما يدل على أن تنوع الفواصل ليس معياره كثرة الآيات في السورة وامتداد سياقها بل مرده اقتضاء المعنى والغرض المنصوب له الخطاب . [٢] فالقرآن الكريم يلون وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعاً في الإيقاع تبعاً لنوع الموضوع والتعبير في السورة الواحدة وهذا ما عليه أكثر الفواصل القرآنية عامة ؛ لأنه قد تختلف الفواصل والموضوع أو المحدَّث عنه واحد في الموضعين ، وأكثر ما يكون ذلك بين سورتين لا في سورة

---

[١] الفواصل القرآنية صـ ١١ ، ١٢ .

[٢] انظر توضيح ذلك في العزف على أنوار الذكر صـ ٢٦٥ وما بعدها .

واحدة وذلك لتحقيق أمرين أو أكثر ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ . [1] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . [2] وقد أجاب ابن المنير على هذا الاختلاف في الفاصلتين مع اتحاد الموضوع فقال : " كأنه . أي الله . يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوماً ، وكونك كفاراً " وحصل لى عند إعطائها وصفان : أنى غفور ، وأني رحيم . أقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى " وتخريج ابن المنير لاختلاف الفاصلتين مقبول ، لكنه لم يعالج الموضوع من جميع أطرافه لأن فيه سؤالاً ما زال قائماً حاصله : لماذا أوثر وصف الإنسان فى سورة إبراهيم على وصف الله ؟ ثم لماذا أوثر . كذلك . وصف الله في سورة النحل على وصف الإنسان ؟ وعندى . . أن إيثار وصف الإنسان في سورة إبراهيم لأن السورة عددت كثيراً من مظاهر النعم ، فروعى جانب الإنسان فيها وقليل من الناس الشكور فقررت السورة موقف سواد الناس من النعم . وإيثار وصف الله في سورة النحل ؛ لأن السورة تحدثت عن كثير من صفات الله في موطن يدَّعي فيه المضللون وجود شريك لله . ﷻ . فناسب أن يراعى فيها وصف الله دون الإنسان . [3]

وقد تأتى الفاصلتان متفقتين في موضعين والمحدَّث عنه في الموضعين مختلف ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ

---

[1] سورة إبراهيم من الآية (٣٤) .

[2] سورة النحل من الآية (١٨) .

[3] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/ ٢٢٨

جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . [١] وسر اتفاق الفاصلتين أن الغرض من الكلامين واحد. هو أدب الاستئذان ، والمناسبة في الموضعين واضحة ؛ لأن المعنى : الله عليم بما فيه صلاحكم ، حكيم فيما شرعه لكم . وتكرير الفاصلتين بألفاظ واحدة فيه تأكيد للإنذار من المخالفة ومبالغة فى امتثال المكلفين بما أرشدوا إليه . [٢]

ومن هنا نعلم كما ذكر الزركشي وغيره أَن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في المتماثلة والمتقارِبة . [٣] لكن ينبغي أن يعلم أن هذا يكون في الفواصل ذات الموضوع الواحد أو في المقطع الواحد من مقاطع السورة الواحدة وليس على إطلاقه فمن ينظر في سورة (القمر) مثلا يجد أن جميع فواصلها قد جاءت على حرف واحد (حرف الراء) مسبوق بحرف متحرك وهذا مرده إلى أنها ذات موضوع واحد فلم تتنوع معاني معاقدها .

## رابعا : المناسبة الصوتية بين الوحدات القطعية في الفاصلة القرآنية

ذكرنا فيما سبق أن الفاصلة القرآنية تتنوع وتختلف تبعاً لاختلاف المعنى أو المقطع أو الموضوع . لكننا وجدنا نوعاً آخر من الفواصل القرآنية يلتزم نسقاً صوتياً معيناً مراعاة لما قبله من الفواصل تحقيقاً لجمالية التشكيل الصوتي في الأغلب والذي يبدو كثيراً في جمال النظم ورعاية الجرس الصوتي والمشاكلة اللفظية ؛ وذلك لما له من تأثير عظيم في النفس ، وهو في الوقت نفسه داع إلى التأمل في حسن

---

[١] سورة النور الآيتان (٥٨ ، ٥٩) .

[٢] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/ ٢٢٩ .

[٣] البرهان في علوم القرآن ٧٥/١ ، والإتقان في علوم القرآن ٢٨١/٣ .

النظم وبراعته وأنه لا قبل لهم بمحاكته أو معارضته ، مع مراعاة أن ذلك غير مؤثر في وضوح المعنى ؛ لذا لحقت الفاصلة بعض التغييرات تحقيقا لهذه المناسبة الصوتية يقول الزركشي : " واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع " . [1] وقد حصرها الزركشي في اثني عشر موضعاً ، وحصرها ابن الصائغ في أكثر من ذلك قال : " اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال : وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً..."[2].

وما يهمنا من هذه المواضع هو ما يتصل فقط بالملامح الصوتية التي طرأت على الفاصلة القرآنية تحقيقاً للتناسب الصوتي بينها وبين ما قبلها وما بعدها حرصاً على النغمة الصوتية التي كان العرب يعنى بها في كلامهم وتطيب لمسامعهم ، فالقرآن الكريم من جنس كلامهم وبلغتهم وإياهم خاطبهم وتحداهم أن يأتوا بمثل آية منه وهم أرباب الفصاحة والبيان فعجزوا عن ذلك . وتتمثل هذه المواضع في الملامح التالية :

١. زيادة وحدة صوتية في الفاصلة : عناية للبعد الصوتي ، واهتماماً بنسق البيان ، ليؤثر في النفس تأثيره الحسّاس ، فتتطلع الأفئدة حين يتواصل النغم بالنغم ، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع . وأبرز مظاهر هذه الظاهرة ألف الإطلاق . إن صح التعبير بالنسبة للقرآن . فقد ألحقت الألف في جملة من الآيات بأواخر بعض كلماتها ، وكان حقها الفتح مطلقاً ، دون مدّ الفتحة حتى تكون ألفاً . ومن

---

[1] البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٠ .

[2] الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٦٥ .

الآيات التي تمثلت فيها هذه الظاهرة قوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [١] ، وقوله جل شأنه : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾ [٢]، وقوله : ﴿ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ ﴾ [٣] . ويبدو أن إلحاق هذه الألف في كلمات (الظنون ، والسبيل ، والرسول) يشكل ظاهرة صوتية تدعو إلى التأمل ، وإلا فما يضير الفتح لولا الملحظ الصوتي ؛ لأن فواصل هذه السورة ألف منقلبة عن تنوين في الوقف ، فزِيد على النون ألفٌ لتساوي المقاطع ، وتناسب نهايات الفواصل . [٤] حيث إن فواصل السورة أكثرها بحرف مد لذا وافقتها .

ومن ذلك أيضا زيادة هاء السكت في فواصل بعض الآي من سور القرآن الكريم كما في في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [٥] فقد زيدت هاء السكت وألحقت بكلمة ( هي ) لتوافق الفاصلة الأولى الثانية .[٦]

ونلحظ أيضاً هذا الملحظ في سورة الحاقة وما أضافته (هاء السكت) في لحوقها ببعض الفواصل في جملة من آياتها ، فنقف خاشعين مبهورين بهذا الوضع الأدائي الحزين ، المنبعث من أقصى الصدر وأواخر الحلق ، فتتقطع الأنفاس واجمة ومتفكرة ومتطلعة ، فنصادف المناخ المتفائل حينا ، والمتشائم حيناً آخر ، ونحن فيما بينهما متأرجحين بين اليأس والرجاء ، والأمل والفزع ، والخشية والتوقع ، فسبحان الله حيث يقول : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

---

[١] سورة الأحزاب : آية رقم ( ١٠ ) .

[٢] سورة الأحزاب : آية رقم ( ٦٦ ) .

[٣] سورة الأحزاب : آية رقم ( ٦٧ ) .

[٤] ينظر : من وحي القرآن د / إبراهيم السامرائي صـ١٢٢ – ١٢٨ .

[٥] سورة القارعة : الآيتان رقم ( ١٠ ، ١١ ) .

[٦] البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٠ .

كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ [1]. نلاحظ أن الفواصل ( كتابيه ، وحسابيه ، وكتابيه ، وحسابيه ، وماليه ، وسلطانيه ) قد زيدت فيها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة والتي اقتضى السياق نطقها هاءً للتوافق . [2] أي لتتوافق الهاء إيقاعياً مع التاء المربوطة التي تصير هاءً بالوقف . [3] وهي من ناحية ثانية تبدو في الحالتين . من أوتي كتابه بيمينه ، ومن أوتي كتابه بشماله . تابعة لنفسية المتكلم ، وتنبىء عن حالة معينة يعيشها، ونفسية خاصة انعكست بداخلها تلك الحالة التي يعيشها والأحاسيس التي يحس بها كلاهما ، فهاء السكت في هذه الآيات تسهم في تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى في السمع حتى يكون ذلك معبرا عن تلك الحالتين . وهي من ناحية أخرى تعد دليلا على أن ظاهرة الوقف في القرآن الكريم ليست ناشئة عن تدخل المتلقي في إنتاج أو إظهار جمالية النص القرآني حين تلاوته كما قد يتبادر إلى الذهن وإنما الوقف خاصية أصيلة في بناء النص القرآني كما أنزله رب العزة جل شأنه .

ومن هنا ندرك أن القدماء من خلال تدبرهم وإمعانهم النظر في النص القرآن قد لاحظوا أن الوقف يضعف الحرف الأخير من الكلمة الموقوف عليها ، ولذا فهو بحاجة إلى تقوية ، ويتم ذلك عن طريق إلحاق ذلك الحرف صوتاً أو صويتاً ،

---

[1] سورة الحاقة : الآيات رقم ( ١٨ – ٢٩ ) .

[2] ينظر : من وحي القرآن صـ ١٢٢ ـ ١٢٨ .

[3] الفواصل القرآنية صـ ٤

وهذا القدر من الصوت إنما هو متمم للحرف وموف له في الوقف فإذا وصلت ذهب أو كاد ، فإذا كانت النهاية الموقوف عليها صوتا من أصوات اللين القصيرة أو الطويلة تمت تلك التقوية بهاء السكت غالباً ، وذلك كما فى الوقوف على ياء المتكلم المفتوحة فى نحو " كتابيه وحسابيه ، وماليه ، وسلطانية " وكما فى نحو : " واغلاماه ، ووازيداه ، وواغلامهوه ، وواغلامهيه " . قال ابن جنى : "وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى فى السمع ، وكان الوقف عليه يضعف الحرف ألحقت الهاء ليقع الحرف حشوا فيبين ولا يخفى".[١]

ولعل السر فى ذلك هو أن الجهاز النطقى عند إخراج الحركات يكون مفتوحاً ، ويسمح للهواء بالمرور فيه دون عوائق ، وهذا معناه أن صوت اللين إذا كان فى آخر الكلمة تبدد بسرعة مع الهواء الخارج بكمية كبيرة ، فيبدو ضعيفاً خفياً ، ولذا أنشأ الوقف هاء السكت لتقوية الحركة أو صوت اللين السابق عليها ، لكونها صوتاً احتكاكياً يضيق مجرى الهواء ولا يسمح بخروجه دفعة واحدة " [٢] ؛ ولذا فإن التجاء العربية لإثبات هاء السكت فى بعض الكلمات إنما هو نتيجة من نتائج الحرص على بيان الحركة فى الحرف الموقوف عليه [٣] .

ويرى د/ غانم قدورى أن هذه الهاء تعدت هذه الوظيفة وهى الحفاظ على الحركة إلى وظيفة صوتية تنغيمية فى الكلمات الأخرى قال : " ودراسة ظاهرة إثبات هاء السكت فى تلك الكلمات من خلال السياقات التى وردت فيها ترينا أن دور هذه الهاء قد تجاوز مجرد المحافظة على الحركة القصيرة وتبينها كما فى المثالين : (يتسنه ، واقتده) إلى وظيفة صوتية تنغيمية فى الكلمات الأخرى حيث تتآلف مع

---

[١] الخصائص ٢ / ٣٣٠ .

[٢] الجانب الصوتى للوقف صـ٢٢ ، ٢٣ .

[٣] الكشف عن احكام الوقف والوصل صـ٩٦

ذلك الوقع الذى يتصاعد مع رءوس الآيات على طول السورة كلها . أى سورة الحاقة . والذى يساهم فى تشكيل الجو الذى ترسمه معانى كلماتها " [١] .

والسبب فى تسميتها بهاء السكت يرجع إلى أن المتكلم يسكت أى يقف عليها دون آخر الكلمة ، كما نجد أنه يؤتى بها أيضا لتعويض بعض الكلمات عن الحروف التى حذفت منها لأسباب صرفية ونحوية [٢] .

غير أننا نجد الهاء موظفة في آيات أخر غير مزيدة لكنها تؤدي الدور الصوتي المنوط بها في سياق الحفاظ الأدائي على تناغم الفاصلة فنجدها ضميراً ملصقاً بالفواصل أصلي الورود ، غير زائد ، وقد حقق بذلك وقعه في النفس ، وجرسه في الأذن كما في قوله ﷻ: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾[٣]. فلا زيادة في هذه الهاء ، وهي ضمير في الفواصل كلها ، وقد حققت صوتياً مناخ الانتباه ، ورصد مواضع الإصغاء . [٤]

٢. حذف وحدة صوتية من الفاصلة : رعاية للبعد الصوتي ، وعناية بالنسق القرآني ، لحرص القرآن الكريم على الإيقاع اللفظي وتناسق الفواصل كما في قوله ﷻ : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [٥]. فقد حذفت الياء من كلمة (يسر) موافقة للفاصلة قبلها . ومثله في السورة نفسها : ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ *

---

[١] رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية د/ غانم قدورى الحمد صـ٢٧٧ .

[٢] الكشف عن أحكام الوقف والوصل صـ٩٦ .

[٣] سورة المعارج : الآيات رقم ( ١١- ١٤ ) .

[٤] ينظر : من وحي القرآن صـ ١٢٢ – ١٢٨ .

[٥] سورة الفجر : الآيات رقم ( ١ – ٤ ) .

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [١]. فالياء من كلمتي (أكرمن ، وأهانن) قد حذفت رعاية لهذا الملحظ الصوتي ، ورعاية للنون المُغَنَّة عند الوقوف عليها . وهذا الأمر مطرد في جملة من آيات القرآن الكريم في سياق الفواصل مثل قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [٢].[٣] فحذفت ياء المتكلم في كلمة (دين) لموافقة الفاصلة الأولى والثانية في السورة ومثله قوله ﷻ : ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [٤] وأصلها أطيعوني .

٣. الانتقال من الوحدة الصوتية إلى الصورة الصوتية في الفاصلة كـ إمالة ما أصله ألا يمال : حرصاً على تحقيق الانسجام الصوتي بين الكلمات المتجاورة كإمالة ألف ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ [٥] ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما ، ، والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء والغرض الأصلي منها هو التناسب وعبر عنه بعضهم بقوله الإمالة للإمالة وقد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره كألف تلا في قوله تعالى : ﴿ والقمر إذا تلاها﴾ فأميلت ألف تلاها ليشاكل اللفظ بها اللفظ الذي بعدها مما ألفه غير ياء نحو {جلاها} و {غشاها} . فإن قيل : هلا جعلت إمالة {تَلَاهَا} لمناسبة ما قبلها أعني {ضحاها} قيل : لأن ألف {ضُحَاهَا} عن واو وإنما أميل لمناسبة ما بعده.[٦]

---

[١] سورة الفجر : الآيتان رقم ( ١٥ ، ١٦ ) .

[٢] سورة الكافرون : آية رقم ( ٦ ) .

[٣] ينظر : من وحي القرآن ص ١٢٢ – ١٢٨، والفواصل القرآنية لسيد خضر صـ٣ .

[٤] سورة آل عمران : (٥١)

[٥] سورة الضحى الآية (١) .

[٦] البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٧ .

٤. تنوين ما لا ينون ، فالتنوين وحدة صوتية قطعية وهو ما يعرف عند علماء النحو باسم صرف ما أصله ألا ينصرف : كقوله ﷻ: ﴿قواريرا قواريرا ﴾ صرف الأول لأنه آخر الآية وآخر الثاني بالألف فحسن جعله منونًا ليقلب تنوينه ألفًا فيتناسب مع بقية الآي كقوله تعالى ﴿سَلَاسِلَا وأغلالا﴾ فإن {سَلَاسِلَا} لما نظم إلى ﴿وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ صرف ونون للتناسب وبقي قَوَارِيرَا الثاني فإنه وإن لم يكن آخر الآية جاز صرفه لأنه لما نون قَوَارِيرًا الأول ناسب أن ينون قَوَارِيرًا الثاني ليتناسبا ، ولأجل هذا لم ينون قَوَارِيرًا الثاني إلا من ينون قَوَارِيرًا الأول ، وزعم إمام الحرمين في البرهان أن من ذلك صرف ما كان جمعاً في القرآن ليناسب رءوس الآي كقوله ﷻ : ﴿سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا﴾وهذَا مردود لأن سلاسلا ليس رأس آية ولا قَوَارِيرَا الثاني وإنما صرف لِلتناسب واجتماعه مع غيره من المنصرفات فيرد إلى الأصل ليتناسب معها ونظيره في مراعاة المناسبة أن الأفصح أن يقال بدأ ثلاثي قال اللَّه تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تعودون﴾ وقال تعالى: ﴿كيف بدأ الخلق﴾ ثم قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يعيده﴾ فجاء به رباعيًّا فصيحاً لما حسنه من التناسب بغيره وهو قوله: {يُعِيدُهُ}[١]

ولكل هذه التغيرات أو المؤثرات الصوتية في الفاصلة القرآنية دورها البارز في التشكيل الإيقاعي للنص القرآني من حيث التخفيف من حدة الإيقاع ، أو تكثيفه ، أو جعله بين الاثنين كما في زيادة هاء السكت على الفاصلة في الآيات السابقة من سورة الحاقة ، وكل ذلك حسب المقام أو الغرض من المقطع . فللإيقاع في فن الأداء القرآني دوره المؤثر في إحداث بعض التغييرات في الفاصلة القرآنية لإحداث لون مهم من ألوان التجانس الصوتي في الفاصلة القرآنية وتحقق حسن السمع وطيب الوقع في الأذن المرتبط في حقيقته أولاً بحسن الأداء وجمال الصوت .

---

[١] البرهان في علوم القرآن ٦٦/١ .

**فعن ابن عباس . ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ . : " زينوا أصواتكم بالقرآن" .** [1]

[1] **المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٨١ .**

# المبحث الرابع

## الوحدات القطعية في مرسوم الخط القرآني

رسم القرآن الكريم سر من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة ، وهو صادر من النبي ـ ﷺ ـ وهو الذي أمر الكُتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي ـ ﷺ ـ ، وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيف من النبي ـ ﷺ ـ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها ؛ لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سر من الأسرار خصَّ الله تعالى بها كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية . وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز ، وكل ذلك لأسرار إلاهية وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس ؛ لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني ، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور فإن لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة ، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أُشير إليها ، فكذلك أمر الرسم الذي في القرءان حرفاً بحرف . [1]

وقد جمع القرآن الكريم أول ما جمع في مصحف واحد في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وإن كان مكتوبا في عهد النبي ـ ﷺ ـ كما سبق إلا أنه كان مفرق الآيات والسور ، وكان ذلك بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة بطلب من سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كما هو واضح فيما ذكره ابن حجر في كتابه قال : " حدثنا ابن شهاب ، عن عُبَيْد ابن السَّبَّاقِ أن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال:

---

[1] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ص٤ نقلا عن كتاب الإبريز لابن المبارك

«أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده» ، قال أبو بكر ـ ﷺ ـ : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحَرَّ يوم اليمامة بقُرَّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحِرَّ القتل بالقُرَّاء بالمَواطِن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : " كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ " قال عمر: هذا واللَّه خير ، " فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر " ، قال زيد : قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللَّه ـ ﷺ ـ فتتبع القرآن فاجمعه ، " فواللَّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن" ، قلت : " كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؟ " ، قال : هو واللَّه خير ، " فلم يزل أبو بكر يراجعني حَتى شرح اللَّه صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف ، وصدور الرجال ، حَتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [1] حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه اللَّه ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر" [2] وكان هذا المصحف مشتملا على السبعة أحرف التي أذن الله ـ ﷻ ـ للأمة في التلاوة بها ، ولم يخص حرفًا بعينه . [3]

وهذا إن دل فإنما يدل على أن كتابة القرآن الكريم ليست محدثة في عهد سيدنا أبي بكر ، ولا في عهد سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ فالنبي ـ

---

[1] سورة التوبة من الآية : (١٢٨) .

[2] المصاحف ـ أبو بكر السجستاني ص ٥٥ ، وفتح الباري لابن حجر ١١/٩ .

[3] المقنع في رسم مصاحف الأمصار ـ أبو عمرو الداني ص ١٤ .

ﷺ . كان له كتّاب يكتبون الوحي كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته ، مبالغة في تسجيله وتقييده ، وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى ، حتى تظاهر الكتابةُ الحفظَ ويعاضد النقشُ اللفظَ . وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم الرسول على كتابتهم ، وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة ، فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس . ثم جاء الصديق أبو بكر . رضي الله عنه . فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف ، ثم حذا حذوه عثمان بن عفان . رضي الله عنه . في خلافته فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف وأقرَّ أصحاب النبي . ﷺ . عمل أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين . وانتهى الأمر إلى التابعين وتابعي التابعين فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم . [1] وهو الأمر الذي جعل كثيرا من العلماء يرى أن هذا الرسم توقيفي وليس اصطلاحيا . [2]

وعلى هذا يكون سيدنا عثمان بن عفان . رضي الله عنه . قد أعاد نسخ القرآن الكريم في مصحف واحد سمي بالمصحف العثماني وبطريقة مغايرة تماما لما كانت عليه في عهد سيدنا رسول الله . ﷺ . وفي عهد أبي بكر . والسبب في ذلك هو كثرة الفتوحات الإسلامية ، واختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم ، وانتشار قراءة القرآن في الأمصار المفتوحة ، وتعدد المصاحف واشتمالها على الأحرف السبعة مما أحدث اختلافا بين الناس في وجوه القراءة . فقد كان لكثير من أئمة الصحابة مصاحف كـ : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ابن كعب، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، كما كان لزوجات النبي . ﷺ . مثل ذلك كـ : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة . كذلك كان للتابعين من أمثال : عطاء بن رباح ، وعكرمة ، ومجاهد ؛ وفي

---

[1] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٣ .

[2] مناهل العرفان ٣١٠/١ وما بعدها ، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن ص ٣ .

هذه المصاحف ما صح سنده ، وثبتت تلاوته ، ووافق العربية ، ولكن اختلف بعضها عن بعض حتى كان المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون ، ويختلف القراء من أهل العراق والشام ، هذا الاختلاف الذي أغضب حذيفة بن اليمان حتى احمرّت عيناه . [1] يقول ابن الجزري : " لَما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان . ﷺ . حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان ، فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك ، فأفزعه ذلك وقدم على عثمان وقال : أَدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف نَنسخها ثم نردها إليك ، فأرسلتها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد اللَّه بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، فكتب منها عدة مصاحف ، فوجه بمصحف إلى البصرة ، ومصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مُصْحَفًا بالمدينة ، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له الإمام ، ووجه بمصحف إلى مكة ، وبمصحف إلى اليمن ، وبمصحف إلى البحرين ، وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هَذه المصاحف وَترك ما خالَفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونًا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن ، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي . ﷺ . إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط ، وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي . ﷺ . بقوله : أنزل القرآن على سبعة أحرف

---

[1] المصاحف . السجستاني ص ٦٦ ، ورسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم ص٥ .

فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ كما صرح به غير واحد من أئمة السلف .... وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من فِي رسول اللَّه ـ ﷺ ـ ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ " . [١]

وهذه المصاحف تتفق في الرسم تارة وتختلف فيه تارة ثانية تبعا لقراءة كل قطر ، وقد ذكر بعض العلماء ما اتفقت فيه مصاحف الأمصار في الرسم وما اختلفت فيه من أول القرآن إلى آخره . [٢]

وبهذا أصبحت قراءة كل قطر تابعة لرسم مصحفهم ، ومنع عثمان ـ رضي الله عنه ـ القراءات بما خالف خطها ، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر من الصحابة والتابعين ، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده ، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ وإن صحت ورويت . [٣]

وقد اتبع كتَّاب المصحف الأربعة الذين أمرهم سيدنا عثمان بكتابة المصحف ـ (زيد بن ثابت ، وعبد اللَّه بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام) ـ في نسخ مصاحف الأمصار على عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة في كتابة كلمات القرآن وحروفه . وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة " برسم المصحف ". وكثيراً ما ينسبون هذا الرسم إلى الخليفة الذي ارتضاه فيقولون : رسم عثمان أو الرسم العثماني . [٤]

وهذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة ، وتلقته بالقبول بترتيب آياته ، بل

---

[١] النشر في القراءات العشر ٧/١ ، ٨ ، وصحيح البخاري ٦/ ١٨٣. كتاب (فضائل القرآن) باب جمع القرآن حديث رقم ٤٩٨٧ .

[٢] المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص: ٨٧ وما بعدها .

[٣] رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم صـ ٦ .

[٤] مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح صـ ٢٧٥ .

كلماته ، بل حروفه ، ليس لنا إلى إنكاره من سبيل ، وأصبح مصحف عثمان الإمام والدليل فيما يعنيه من ترتيب يمنع التقديم والتأخير، ومن حصر يمنع الزيادة والنقصان ، وإبدال لفظ بلفظ آخر، وهو حجة على القارئين والمقرئين إلى يوم الدين ، وأصبحت القراءة بما يخالف الرسم وإن وافقت العربية وصح سندها ـ كالذي جاء في مصاحف الصحابة والتابعين ـ شاذة ؛ لكونها شذت عن رسم المصحف الإمام المجمع عليه ، فلا يجوز القراءة بها لا في الصلاة ، ولا في غيرها . [١]

أما عن الحكمة في اختلاف رسم الكلمات في المصحف فقد بينها الزركشي في قوله : " واعلم أن الخط جرى على وجوه فيها ما زيد عليه على اللفظ ومنها ما نقص ومنها ما كتب على لفظه وذلك لحكم خفية وأسرار بهية تصدَّى لها أبوالعباس المُرَّاكشِيُّ الشهير بابن البَنَّاء في كتابه (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) وبيَّن أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها . ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ومراتب الوجود والمقامات والخط إنما يرتسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي " . [٢]

وعلى هذا يكون المراد من رسم المصحف هو: الوضع الذي ارتضاه عثمان ـ ﷺ ـ في كتابة كلمات القرآن وحروفه . [٣] وقيل هو: تصوير الكلمة بحروف بتقدير الابتداء بها والوقف عليها . [٤] وقيل المراد به : الكيفية التي كُتبت بها حروفه وكلماته ، وَفق المصاحف العثمانية .

---

[١] رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم صـ ٦ .

[٢] البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٨٠ ، ٣٨١ .

[٣] مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٠٠ .

[٤] رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٤١ ، ورسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم صـ ٥ .

## الملامح الصوتية للوحدات القطعية في الرسم القرآني :

الأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير ، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر فيما بعد .

ففي هذا الرسم القرآني حروف كثيرة جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق ، وكلمات تأتي في آيات قرآنية برسم مختلف ، وكلمات أخرى تأتي برسم يختلف عن الرسم المعتاد . وكلمات تنقص أو تزيد حروفها ، وكل ذلك لأغراض شريفة وهي من الأسرار التي خص الله بها كتابه العزيز.

وقد عني العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظها فأفرده بعضهم بالتأليف منهم الإمام أبوعمرو الداني إذ ألف فيه كتابه المسمى ( المقنع ) ، ومنهم العلامة أبوعباس المراكشي إذ ألف كتابا أسماه : (عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل) ، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي إذ نظم أرجوزة سماها (اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم) ، ثم جاء العلامة المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارىء بالديار المصرية فشرح تلك المنظومة وذيل الشرح بكتاب سماه (مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن) . [1] وذكروا فيها أن للمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه تختلف عن قواعد الهجاء لاسيما في رسم الهمزة ، والحركات الطويلة ، وقد حصرها علماء الفن في ست قواعد وهي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والفصل والوصل ، وما فيه قراءتان فقرئ على

[1] مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٠٠ .

إحداهما . [١]

والحق أن الرسم العثماني لم يكن مخالفاً لقواعد الهجاء المعروفة ؛ لأنه أسبق في وجوده من هذه القواعد التي وضعت فيما بعد لتيسير النطق بالقراءة بعد انتشار الإسلام وكثرة اللحن من الأعاجم وغيرهم ، فرموز الحركات القصيرة والطويلة كانت في مرحلة تالية لرسم المصحف . يقول أحد الباحثين المحدثين : " مما يلاحظ على كلام علماء السلف أنهم يشيرون بادئ ذي بدء إلى أن قواعد الرسم العثماني قد جاءت بصورة عامة موافقة لقواعد الهجاء إلا أن جملة من ظواهره جاءت خارجة على تلك القواعد ، وهذا منهج قلوب في دراسة القضية ، وذلك أن الرسم العثماني ما هو إلا النموذج الحقيقي لحالة الكتابة العربية في الفترة التي نسخت فيها المصاحف ، وظل الناس يكتبون وفقاً لما جرى في المصحف فترة طويلة إلا أن حرص علماء العربية على تيسير القواعد الكتابية بعد ذلك الاستعمال الواسع للكتابة جعلهم يسعون إلى توحيد قواعد الرسم العثماني وفقا لأصولهم الصرفية وأقيستهم النحوية ، وظلت قواعد الرسم العثماني هي العمود الأساسي في قواعد الهجاء العربي التي وضعها علماء العربية . وليس من المنطقي ولا من المنهج العلمي السديد أن نقيس ظواهر الرسم العثماني بأصول وقواعد جاءت لاحقة لتاريخ وجود تلك الظواهر ومعتمدة عليها في أكثر جوانبها " . [٢] فليس هذا الاختلاف في كتابة المصاحف بظواهره المتعددة ناشئاً عن جهل الصحابة . رضي الله عنهم . بقواعد الخط ، وبعدهم عن الصنائع كما ذكر ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ) وغيره . [٣] بل إن الصحابة . رضي الله عنهم . الذين كتبوا المصاحف كانوا متقنين لقواعد العربية

---

[١] مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٠٠ .

[٢] رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية) . د/ غانم قدوري الحمد صـ ٢٤٤ .

[٣] تاريخ ابن خلدون ٥٢٦/١ ، ورسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٤١ .

والخط العربي ، فكتبوا المصاحف على هذه القواعد التي كانت مطردة في زمانهم كما ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) . [١] أو أنهم خالفوا هذه القواعد في بعض الكلمات لعلل وأسرار كثيرة تتفق مع مكانة القرآن الكريم وكيفية تلاوته وهو ما نحاول الكشف عنه هنا .

ففي هذه الدراسة نتعرض لبعض هذه الكلمات القرآنية التي جاء رسمها مخالفاً للقواعد الإملائية لنلقي الضوء على ملامحها الصوتية المميزة لها والتي جاءت في كثير منها ممثلة لطرائق العرب وتباينهم في نطقهم للكلمات ، فهي طرائق أدائية متباينة وهي من جنس الأحرف السبعة التي أباح الله ـ ﷻ ـ قراءة القرآن الكريم بها تيسيرا على العرب وقد تضمنتها المصاحف السابقة على المصحف العثماني كما سبق ، يقول ابن الجزري : " كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتابًا كما أشار إليه ـ ﷺ ـ فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع " . [٢]

كما أننا نحاول في هذه الدراسة أن نتلمس بعضاً من الحكم أو الأسرار فيما جاء من الرسم العثماني مخالفاً للمنطوق ؛ لأننا نعتقد كما ذكر عن الإمام الرازي : " إن كل حرف وكل كلمة وكل حركة في القرآن الكريم لها فائدة . [٣] منها ما عرف ومنها ما لم يعرف يقول الرازي : " في كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها ص١٨ .

[٢] النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢ .

[٣] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٤ .

، وإن كان لا يحيط بها ذهني الكليل ، ولا يصل إليها علمي القليل " . [1]

وفي تناولنا لهذه الملامح الصوتية للرسم القرآني في رواية حفص عن عاصم لا نقف عند حدود الرسم العثماني وإن كان هو رسم المصحف الشريف ؛ لأنه قد زيد على هذا الرسم في عهد سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وفيما تلاه من العصور ملامح صوتية أخرى تتصل بأدائه ، فمن المعلوم أن الصحف التي كُتبت في عهد النبي ـ ﷺ ـ والمصاحف العثمانية التي وُزعت على البلدان الإسلامية فيما بعد ، كانت خالية من الشكل والنقط . ولا ريب أن رسم المصاحف العثمانية كان يقوم على إملاءٍ خاصٍ به ، يختلف عن الرسم الإملائي المعروف لدينا اليوم ، وظل الناس يقرؤون القرآن في تلك المصاحف على تلك الشاكلة ، إلى أن تطرق الفساد والخلل إلى اللسان العربي نتيجة الاختلاط بالأعاجم ، ما دفع أولي الأمر إلى ضرورة كتابة المصحف بالشكل والنقط وغيرها حفاظاً على القرآن من أن يُقرأ على غير الوجه الصحيح . وكان أبو الأسود الدؤلي(ت ٦٩هـ)

أول من وضع ضوابط اللسان العربي ، وقام بتشكيل القرآن الكريم بأمر من علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فوضع علامات لشكل الحروف فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة أسفله ، وعلامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف والكلمات ، ثم جاء من بعده الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) إذ كان أول من صنف كتاباً في رسم نقط الحروف وعلاماتها ، وكان كذلك أول من وضع الهمزة والتشديد وغيرها من العلامات الضابطة . بعد ذلك تدرَّج الناس ، فقاموا بكتابة أسماء السور في رأس كل سورة ، ووضعوا رموزاً فاصلة عند رؤوس الآيات ، وقسموا القرآن إلى

---

[1] التفسير الكبير ١/ ٢١ .

أجزاء . ثلاثين جزءً . وأحزاب . ٦٠ حزباً . وأرباع ، ووضعوا لكل ذلك علامات خاصة تدل على ما أشارت إليه ، حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري ، بلغ الرسم القرآني ذروته من الجودة والحسن والضبط .

ومن أهم هذه الملامح الصوتية في الرسم القرآني ما يلي :

**أولا : حذف بعض الوحدات من مباني الكلمات لغير علة نحوية أو صرفية**

بتأمل الرسم القرآني في رواية حفص عن عاصم نجد أن بعض الوحدات القطعية قد حذف من مباني الكلمات القرآنية ، ويكون ذلك في الصوامت وفي الصوائت لاسيما الحركات الطويلة منها وهي : (الألف ، والواو ، والياء) ، إلا أنه في الصوائت الطويلة أكثر . ويأتي هذا الحذف إما لتحقيق غرض لفظي كـ التخفيف أو الاختصار، أو بيانا لغرض معنوي يتطلبه السياق ، أو تمثيلا للهجة عربي فصيحة هي من جنس الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم فقد ذكر أبو بكر الواسطي أن في القرآن الكريم من اللغات خمسين لغة وعدها . [1] ومما يدل على ذلك أيضا قول سيدنا علي . كرم الله وجهه . للثلاثة القرشيين من كتاب المصحف الأربعة : " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم" وذلك حين اختلفوا في كتابة كلمة (التابوت) يقول الزركشي : " لما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان رضي الله عنه اختلفوا في كتابة " التابوت " فقال زيد : " التابوه " وقال النفر القرشيون : " التابوت " ، وترافعوا إلى عثمان فقال : اكتبوا " التابوت " فإنما أنزل القرآن على لسان قريش" . [2] وهاك التوضيح :

## أ ـ الحذف في الوحدات القطعية الصامتة :

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ١٢٢/٢ ، والقراءات واللهجات د/عبدالوهاب حمودة ص٢١.

[2] البرهان ١/ ٣٧٦ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح صـ ٢٧٧ .

بتأمل الكلمات القرآنية في رواية حفص عن عاصم ندرك أن ثمة كلمات قد حذف منها حرف من حروفها ، وكان هذا الحذف تحقيقاً لناحية جمالية ترتبط بخفة نطق الكلمة ، أو تحقيقاً لقيمة معنوية يقتضيها السياق ، أو سيراً على لهجة عربية فصيحة .

فمن ذلك حذف أحد الحرفين المتماثلين كراهة توالى صورتين متفقتين فى الرسم : فقد يلتقي الحرفان المثلان في كلمة واحدة أصلية الحروف من غير فصل بينهما ، وقد ذكرت من قبل أن مبنى الفصاحة في الكلمة في أكثره هو أن تتكون حروفها الأصلية من حروف متباعدة المخارج حتى يخف النطق بها على اللسان ؛ أما تكوينها من الحروف المتقاربة فمشروط كما سبق ، والتقاء المثلين في كلمة واحدة أصلية الحروف أصعب من التقاء المتقاربين في فصيح الكلام لما فيه من صعوبة بالغة في النطق بهما على حالهما نظراً لتردد اللسان في موضعه وعدم مجاوزته إلى الموضع التالي له لاسيما فيما زاد على ثلاثة أحرف ، الأمر الذي قد يتطلب تعديلاً ما لذهاب هذه الكلفة على اللسان ويكون ذلك بطرق عدة أهمها : الإدغام ، وحذف أحد المثلين ، والمخالفة الصوتية بإبدال أحدهما ياءً ، والفصل بينهما وقد وضحت ذلك سابقا .

وهنا أذكر حذف أحد المثلين في رواية حفص عن عاصم أصليين كانا أو أحدهما زائدا ، فمن حذف أحد المثلين الأصليين : حذف إحدى اللامين في قوله "الّيل" و"الّذي" و"الذين" و"الذَين" و"الذان" و"التَّي" و"الّاتي ارضعنكم" ... و"الاتي دخلتم" و"الّائي يظهرون" ... وشبه من لفظه في جميع القرآن ؛ لكثرة الاستعمال ولكراهة اجتماع صورتين متّفقتين في الرسم .

وكذا حذفت إحدى اللامين من ماضي المضعف الثلاثي إذا سكن آخره وأسند إلى ضمير رفع متحرك كما في قوله تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَاهِكَ الَّذِى ظَلْتَ

عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً ﴾[١] . ظلت أصله : ظللت فخذفت اللام الأولى تخفيفاً والعرب تفعل ذلك كثير وقرأ الأعمش بلامين على الأصل . [٢] كذا ذكر الألوسي أن اللام الأولى في (ظلت) قد حذفت تخفيفا ، ونقل أبوحيان عن سيبويه أن هذا الحذف من شذوذ القياس ولا يكون ذلك إلا إذا سكن آخر الفعل ، وعن بعض معاصريه أن ذلك منقاس في كل مضاعف العين واللام في لغة بني سليم حيث سكن آخر الفعل . [٣]

وعلى هذا يكون حذف أحد المثلين جارياً على لغة بعض العرب كراهة لتوالى الأمثلة ، أو على التخفيف ؛ لأن توالى الشكل ثقيل كتوالى اللفظ . ومثله قوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [٤]. قرأ الجمهور (فظلتم) بفتح الظاء مع لام واحدة ، وقرأ أبوحيوة وأبو بكر في رواية عنه بكسر الظاء وقرأ ابن عباس والجحدرى فظللتم بلامين أولاهما مكسورة على الأصل وروى عن الجحدري فتحها وهي لغة . [٥] فمن العرب من يحذف لام (ظَلِلْتُ) ونحوها حيث يظهران ؛ فأَما أهل الحجاز فيكسِرون الظاء على كَسرة اللام التي أُلْقِيتْ ، فيقولون : ظِلْنا وظِلتُم والمصدر الظلول ، والأمر منه ظَلَّ واظْلَلْ ... وهذا قول حُذَّاق النحويين . [٦]

ومثل ذلك أيضاً حذف إحدى الباءين كما في قوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ

---

[١] سورة طه : (٩٧) .
[٢] فتح القدير ٣ /٣٨٤ .
[٣] روح المعاني ١٦/٢٥٧ .
[٤] سورة الواقعة آية (٦٥) .
[٥] فتح القدير : ٥ /١٥٧ .
[٦] تهذيب اللغة ١٤ /٢٥٦ .

الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [١] فقد قرأ نافع وعاصم (ربما) مخففة ، مفتوحة الباء [٢]. وقد ذكر أبوجعفر النحاس أن الأصل التثقيل ، والعرب تخفف المثقل ولا تثقل المخفف. وعزا (رب) المخففة إلى أهل الحجاز ، و (رب) المثقلة إلى تميم وقيس وبكر قال: " قال الأصمعى : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقرأ (ربما) مخففة ومثقلة . قال: التخفيف لغة أهل الحجاز ، والتثقيل لغة تميم وقيس وبكر " . [٣] وعزا آخرون حذف الباء من (رب) إلى قريش وهذيل وهما من قبائل الحجاز المتحضرة . [٤]

فماضي المضعف الثلاثي إذا اتصل به ضمير رفع متحرك وذلك تاء الفاعل ونا الفاعلين ونون النسوة وجب فيه فك الإدغام تقول : مددت وخففت ومللت ومددنا وخففنا ومللنا ومددن وخففن ومللن ، ثم إن كان ذلك الماضي المسند للضمير المتحرك مكسور العين نحو ظل ومل جاز فيه ثلاثة أوجه :

الأول : بقاؤه على حاله الذي ذكرناه وهذه لغة أكثر العرب وعليها قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَءَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَاؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَاكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّى نَسُواْ الذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُورا ً﴾ [٥]

وقوله تعالى :﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَى نَفْسِى وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِى إِلَىَّ رَبِّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [٦]. وعزها القرطبي إلى نجد[٧] .

---

[١] سورة الحجر من الآية (٢) .

[٢] معانى القراءات ٦٧/٢ ، ٦٨ .

[٣] إعراب القرآن ٣٧٥/٢ .

[٤] لغة هذيل ١٥٢ ، ١٥٣ ، و لغة قريش ١٨٩ .

[٥] الفرقان : ( ١٧ ) .

[٦] سورة سبأ آية ( ٥٠ ) .

[٧] تفسير القرطبي ١٤ /٣١٤ .

**الثاني : حذف عينه مع بقاء حركة الفاء على حالها وهي الفتحة فتقول : ظلت وملت وهذه لغة بني عامر وعليها جاء قوله تعالى ( فظلتم تفكهون) وقوله ( الذي ظلت عليه عاكفا) .**

**الثالث : حذف العين بعد نقل كسرتها إلى الفاء تقول ظلت وملت وهذه لغة بعض أهل الحجاز .** [١]

**وذلك خلافاً للمضارع المجزوم المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فإنه يجوز فيه الإدغام والفك تقول : لم يشد ولم يمل ولم يخف ، وتقول: لم يشدد ولم يملل ولم يخفف ، والفك أكثر استعمالاً قال الله تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾** [٢] **وقال تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾** [٣] **وقال تعالى: ﴿وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ﴾**[٤] **....** [٥] **فإن أسند إلي ضمير بارز متحرك وذلك نون النسوة وجب فك الإدغام تقول : النساء يمللن ويشددن ويخففن .** [٦]

## ب ـ الحذف في الصوائت الطويلة :

**بتأمل المواضع التي حذفت فيها الحركات الطويلة (الألف ، والواو ، والياء) من مباني الكلمات القرآنية في الرسم القرآني خلافا لما هو عليه في الرسم الإملائي المعروف ندرك أن هذا الحذف يأتي مطردا في مواضع عدة ، وهذه الحركات منها ما**

---

[١] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤ /٢٧٢ .

[٢] سورة طه من الآية (٨١) .

[٣] سورة المدثر الآية (٦) .

[٤] سورة البقرة من الآية (٢٨٢) .

[٥] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤ /٢٧٤ .

[٦] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤ /٢٧٤ .

يمثل فونيماً أي وحدة صوتية أصلية في بنية الكلمة القرآنية ، ومنها ما يمثل مورفيماً ذا وظيفة صرفية محضة في بنية الكلمة القرآنية من دون أن يكون لحذفها جميعا وجه إعرابي أو صرفي وهاك التوضيح:

**ـ ما رسم بحذف الألف لغير علة نحوية :**

بتأمل المواضع التي حذفت فيها الألف من مباني الكلمات القرآنية في الرسم القرآني وكان هذا الحذف لغير علة نحوية أو صرفية خلافا لما هو عليه في الرسم الإملائي المعروف ندرك أن هذا الحذف يأتي مطردا في مواضع عدة أهمها ما يلي :

- **حذف الألف بعد هاء التنبيه اختصاراً :** سقطت الألف الزائدة لتطويل هاء التنبيه في النداء أي كلمة (أيها) في ثلاثة أحرف فقد وردت كلمة (أيها) بشكلها المعتاد في القرآن الكريم ١٥٠ مرة ، غير أنها وردت بشكل مختلف (أيه) بنقص الألف التي في آخرها في ثلاث مواضع فقط وهي قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّه الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [١] وقد جاءت بهذا الشكل بنقص أحرف الكلمة لتوحي بالإسراع في التوبة ... وأنه يجب على أي مؤمن أن يتوب عن أي خطأ يرتكبه بأقصى سرعة وألا يتوانى في ذلك . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يأَيُّه السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾. [٢] جاءت بهذا الشكل لتوحي بالعجلة التي تطلبها فرعون وملئه من موسى عليه السلام لرفع العذاب عنهم ... كما أنه من الممكن بأن توحي أيضاً بأن فرعون وملأه يحاولون التقليل من شأن موسى عليه السلام وقوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّه الثَّقَلَانِ ﴾ . [٣] جاءت (أيه) بهذا الشكل ناقصة الألف لتوحي بالتهوين من أمر

---

[١] سورة النور : (٣١) .

[٢] سورة الزخرف : (٤٩) .

[٣] سورة الرحمن : (٣١].

(الثقلين) وهما الإنس والجن لدى الله ﷻ.... [١] و قيل: السر في سقوطها في هذه الثلاثة {أيه المؤمنون} و {أيه الساحر} و {أيه الثقلان} هو : الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها وتنبيه على الاقتصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي ، وتثبت الألف في غير هذه المواضع . [٢]

- حذف الألف من ياء النداء اختصاراً : تحذف الألف من ياء النداء حذفا مطرداً كما في قوله " يأيها الناس " و " يأرض " و" يأولي الالبب "و" يأخت هرون " و" ينوح " و" يلوط " ... [٣]
- حذف الألف التي هي علامة المثنى المرفوع : رسموا التثنية المرفوعة بغير ألف كقوله " وامرأَتن " و " رجلن " و " سحرن " و " ما يعلمن " و " يحكمن " و " يقتتلن " و " اضلنا " وشبهه وسواء كانت الألف اسماً أو حرفاً ما لم تقع طرفاً ووقعت حشواً . [٤]
- حذف الألف من الجمع السالم الكثير الدوران في المذَكر والمؤنّث جميعاً

اتفق كتّاب المصاحف على حذف الألف من الجمع السالم الكثير الدور في المذَكر والمؤنّث جميعا فالمذكر نحو: العلمين ، والصبرين ، والصدقين ، ... ، أما المؤنث فنحو : المسلمت ، والمؤمنت ، والطيبت ، والخبيث ، والكلمت ... وما كان مثله ، فإن جاء بعدها الهمزة أو حرف مضعف نحو " السائلين " و " القائمين " و " الخائنين " و " الصائمين " و " الظانّين " و " الضالين " و " العادّين " و " حافّين "

---

[١] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٧٤ ، ٧٥ .

[٢] البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٩٥ بتصرف .

[٣] المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٢٥ .

[٤] السابق صـ ٢٦ .

وشبه أُثبتت الألف في ذلك ، أما مصاحف أهل المدينة وأهل العراق العتق القديمة ففيها مواضع كثيرة مما بعد الألف فيه همزة قد حذفت الألف منها وأكثره في جمع المؤنث لثقله والإثبات في المذكر أكثر . [١]

- حذف الألف بعد النون التي هي ضمير جماعة المتكلمين : حذفت الألف بعد النون التي هي ضمير جماعة المتكلمين نحو قوله تعالى : " أنجينكم " و " ءاتينكم " و " أغوينكم " و " مكّنّهم " وءاتينه " و " علّمنه " .... وما كان مثله . [٢]
- حذف الألف من الأسماء الأعجمية التي كثر استعمالها : قال أبوعمرو : اتفق كتّاب المصاحف على حذف الألف من الأسماء الأعجمية المستعملة نحو: إبرهيم ، إسمعيل ، وإسحق ، وهرون ، عمرن ، ولقمن وشبهها وكذا حذفوها من: سليمن صلح ، وملك وليست بأعجمية لما كثر استعمالها ، فأما ما لم يستعمل من الأعجمية فإنهم أثبتوا الألف فيه نحو: طالوت ، وجالوت ، ويأجوج ، ومأجوج وشبهها . كذا حذفت الألف من هروت ، ومروت ، وقرون ، وهمن في رواية حفص عن عاصم ، وإن أثبتت في بعض المصاحف . [٣]

ومما حذفت فيه الألف لكثرة الاستعمال أيضا : حذف الألف من التسمية في فواتح السور وفي قوله في هود ﴿ بسم الله مجرها ومرسها﴾ لا غير ذلك لكثرة الاستعمال ، فأما قوله : ﴿ بإسم ربك الذي﴾ و ﴿ باسم ربك العظيم﴾ وشبهه فالألف فيه مثبتة في الرسم بلا خلاف . [٤]

---

[١] المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٣٠ ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣٩٢ .

[٢] المقنع في رسم مصاحف الأمصارصـ ٣٠ .

[٣] السابق صـ ٢٩ ، ٣٠ بتصرف ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣٩١ .

[٤] المقنع في رسم مصاحف الأمصارصـ ٣٦ .

- **حذف الألف من بعض الكلمات لتحقق السرعة في الفعل ، أو لبيان مدى الالتصاق بين اثنين :**

**تحذف الألف في الرسم القرآني أحياناً لتحقيق هدف معنوي أو لبيان قيمة دلالية يتطلبها السياق كالدعوة إلي السرعة في تحصيل الفعل ، أو الإشارة إلى شدة الالتصاق أو الالتحام بين اثنين .**

**فمما حذفت فيه الألف لتحقق السرعة في الفعل : حذف ألف الوصل إذا دخلت في فعل الأمر المواجه به ووليها أيضا واو أو فاء نحو قوله " وسئل القرية" و " سئلهم " و " فسئل الذين " و " فسئلوهم " وما كان مثله من السؤال خاصّة . [١] فقد ورد فعل الأمر من (سأل) في القرآن الكريم كله ناقصاً حرف (الألف) في البداية ...ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [٢]،وقوله ﷻ: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [٣] وقوله ﷻ: ﴿ وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [٥] ويدل حذف حرف (الألف) من مبنى الكلمة الأصلية وهو (اسئل) أو (اسأل) على أن الكلمة القرآنية في رسمها تعبر عن المعنى أصدق تعبير ، إذ إن السؤال دائماً يأتي في عجلة وسرعة فقلما ينتظر الإنسان فهو دائماً يريد سرعة الإجابة .. لذلك جاءت كلمة (سئل) في فعل الأمر ناقصة حرفاً لتحض على سرعة السؤال انتظاراً لسرعة الإجابة فإن نقص مبنى الكلمة يدل على العجلة والسرعة وعدم الصبر.... [٦]**

---

[١] السابق صـ ٣٧

[٢] سورة يونس: (٩٤) .

[٣] سورة يوسف: (٨٢).

[٤] سورة النساء : (٣٢) .

[٥] سورة النحل : (٤٣) .

[٦] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٥ .

ومن ذلك ـ أيضا ـ حذف الألف بعد واو الجماعة كما في الفعل سعى عند إسناده إلى واو الجماعة ، وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم مسندا إلى واو الجماعة مرتين فجاء مرسوما بالألف بعد واو الجماعة مرة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [١] ، وجاء (سعو) بشكه الغير عادي بدون ألف في آخره مرة واحدة أيضاً في القرآن الكريم كله وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [٢] ، وتوحي كلمة (سعو) بنقص الألف في آخرها أن هذا السعي سريع جداً وكله نشاط وهو حسب الآية الكريمة سعي في إنكار آيات الله وهو ما جلب على الكافرين عذابا من رجز أليم في الدنيا بالإضافة إلى عذاب جهنم في الآخرة .

ومما يدل على صحة هذه العلة في حذف الألف أن كلمة (سموات) وردت بهذا الرسم بدون ألف صريحة ١٨٩ مرة في القرآن الكريم كله ، ووردت مرة واحدة فقط بألف صريحة بعد حرف (و) بالرسم القرآني (سموات) وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [٣]... وحين نتدبر هذه الآية الكريمة وما قبلها من آيات نجد أن القرآن الكريم يتعرض لقضية كبرى هي قضية خلق السماوات والأرض وترتيب هذا الخلق ومدته وتقدير الأقوات في الأرض لذا فإن القضية مهمة جداً وتحتاج إلى تدبر وتفكر وعليه فقد جاءت كلمة (سموات) بالرسم الغير عادي هذه المرة ؛ لتلفت النظر إلى ضرورة الوقوف وتدبر المعاني الجليلة لهذه الآيات والتي صعب فهمها على بعض الناس خاصة في حساب أيام الخلق

---

[١] سورة الحج : (٥١) .

[٢] سورة سبأ : (٥) .

[٣] سورة فصلت : (١٢)

الستة . [١] فحذف حرف من الكلمة إذن يضغط مبناها ويسرع من واقعها فتؤدي المعنى المطلوب وهو السرعة على خير وجه وهذا إعجاز القرآن الكريم والرسم القرآني . [٢]

لكني أرى أن حذف الألف لسرعة تحقق الفعل علة غير مطردة وذلك لورود ثبوتها فيما تتحقق فيه السرعة على سبيل الإلزام أو سرعة الإجابة لتلبية النداء كما في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٣]

ومما حذفت فيه الألف لبيان مدى الالتصاق بين اثنين : حذفها من كلمة (صحب – صاحب) وقد جاءت هذه الكلمة بحذف الألف تارة وبإثباتها تارة ثانية وقد ورد الحذف والإثبات معا في سورة الكهف كما في قوله تعالى على لسان مالك الجنين: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [٤] . حيث جاءت كلمة (صحبه) بألف متروكة لتبين ما كان يظنه مالك الجنتين من أن صاحبه ملتصق به التصاقاً كاملاً سواء في الرفقة أو الإيمان... غير أن الرد يأتيه من صاحبه المؤمن في نفس السورة وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [٥] حيث جاءت كلمة (صاحبه) بألف صريحة فارقة لتوضح لقارئ القرآن أن هذه الصحبة في الرفقة فقط ، وأما في الإيمان فهناك افتراق ومسافة بينهما.. وقد جاء هذا المعنى أيضاً واضحاً في حق الرسول . ﷺ . حينما نُسب إلى قومه فجاءت كلمة (صاحبكم) بالألف الصريحة مفرقة بينه وبين قومه في الإيمان بالرغم من مصاحبته لهم في المكان والزمان..

---

[١] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٥ .

[٢] السابق نفسه .

[٣] سورة الجمعة : (٩) .

[٤] سورة الكهف من الآية : (٣٤) .

[٥] سورة الكهف من الآية : (٣٧) .

وذلك في الآيات الكريمة الآتية : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ [١] . ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [٢] . { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [٣] . ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾[٤] . غير أنه حين يتكلم القرآن الكريم عن سيدنا أبي بكر صاحب رسول الله تأتي (صحبه) بألف متروكة لتبين مدى الالتصاق بينهما وتوضح الصحبة الحقيقية في الرفقة والإيمان: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [٥] وهذا يبين جزءاً جزءاً من الحكمة في كتابة الكلمة القرآنية باستخدام الألف الصريحة والمد بالألف المتروكة كما سبق أن أوضحنا... [٦]

ولحذف الألف في الرسم العثماني برواية حفص عن عاصم مواضع كثيرة غير ذلك ذكرها الداني وغيره لمن أراد مراجعتها أو الوقوف عندها وتأملها إلا أنها لا تخرج في مجملها عما ذكرنا . [٧]

### ـ ما رسم بحذف الياء لغير علة نحوية :

تحذف الياء قياسا مطردا من كل منقوص منون رفعا وجرا في جميع المصاحف العثمانية قال أبو عمرو: " كل اسم مخفوض أو مرفوع آخره ياء ولحقه التنوين فإن المصاحف اجتمعت على حذف تلك الياء بناءً على حذفها من اللفظ في حال الوصل لسكونها وسكون التنوين بعدها وذلك في نحو قوله : " غير باغ ولا عاد ، ومن وال ، ومن واق ، وغواش ، وليال ، وبواد ، وفي كل واد ، ومستخف ،

---

[١] سورة سبأ من الآية : (٤٦) .

[٢] سورة النجم : (٢) .

[٣] سورة التكوير: (٢٢) .

[٤] سورة الأعراف من الآية : (١٨٤).

[٥] سورة التوبة : (٤٠) .

[٦] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٥ ، ٦ .

[٧] المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص: ٢٠ وما بعدها .

وإلا زانٍ ، ودان ، ولأتٍ ، وملاق ، ومن راق وشبهه " . [١] ومن هذه الكلمات أيضا { وَأَطِيعُونِ ، وَاتَّقُونِ ، وَخَافُونِ ، فَارْهَبُونِ ، فَأَرْسِلُونِ ، فَاعْبُدُونِ} إلا ما استثني . وهذا مما لا سؤال عنه ، وتحذف غير مطردة في الرسم العثماني لغير علة نحوية أو صرفية موجبة لهذا الحذف لسر من الأسرار الداعية إلى ذلك وهذا ما عنه يكون السؤال لتجلية حقيقة هذا الرسم وبيان إعجازه في رواية حفص عن عاصم ، إذ بتأمل المواضع التي قد حذفت فيها الياء من الرسم نجد أن هذا الحذف قد وقع في الرواية المذكورة إما طلبا للتجانس ، أو إتباعاً للفظ ، أو جرياً على نهج بعض العرب في حذفهم الياء من آخر الكلمة إذا كان ما قبلها مكسوراً اكتفاءً بالكسرة قبلها .

فمما حذفت منه الياء اكتفاءً بالكسرة قبلها طلباً للمجانسة حذفها باطراد في رؤوس الآي سواء كانت ضمير مفعول أو للإضافة أو أصلية كما في قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [٢] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [٣] ، وقوله ﷻ: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [٤]

كذا تحذف الياء كثيرًا عند التقائها بساكن في درج الكلام كما في قوله ﷻ: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [٥] ، وقوله ﷻ: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ

---

[١] المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٤٢ .
[٢] سورة البقرة : (٤٠) .
[٣] سورة المؤمنون : (٥٢) .
[٤] سورة العنكبوت : ٥(٦) .
[٥] سورة النساء : (١٤٦) .
[٦] سورة طه : (١٢) .

آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [٢] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [٣]. وهذا الحذف غير مطرد نظرًا لثبوت الياء في كلمات أخرى في درج الكلام وإن كان ذلك أقل من حذفها كما في قوله ﷻ: ﴿ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤] ، وقوله ﷻ:﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ [٥] ، وقوله : ﴿ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [٦] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [٧] ، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [٨] ، وقوله تعالى : ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٩] .

كذا تحذف الياء التي هي رمز للكسرة الطويلة من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ [١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ [١] ، وقوله

---

[١] سورة يونس : (١٠٣).
[٢] سورة ق : (٤١) .
[٣] سورة الرحمن : (٢٤) .
[٤] سورة البقرة : (٢٤٧) .
[٥] سورة البقرة : (٢٦٩).
[٦] سورة يوسف : (٥٩) .
[٧] سورة القصص : (٥٥) .
[٨] سورة غافر : (١٥) .
[٩] سورة الحج : (٥٣) .
[١٠] سورة الفرقان : (٣٠) .

تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢] ويكاد يطرد هذا الحذف إلا في موضعين هما : قوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى :﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [٤] . فلعل إثبات الياء في هذه الأمثلة وما شابهها كان بسبب انتقال الكسرة الطويلة . بعد أن لحقها الفتح في قراءة بعض القراء- إلى مستوى الأصوات الصامتة فلزم إثبات صورتها لذلك . [٥] وفى كثير من الكلمات يراعى الكتبة اللفظ والوصل دون الأصل والقطع وقد يستعملان في الرسم للدلالة على الجواز.

وقد علل أحد الباحثين المحدثين حذف الياء التي هي رمز للكسرة الطويلة فيما سبق من المنادي ، ومن الأفعال التي تكون فيها الكسرة الطويلة وهي ضمير المتكلم مفعولا به خاصة في رؤوس الآي ، والفعل في صيغة الأمر أو النهي من مثل (فارهبون ، فاتقون ، ولا تنظرون ، ولا تقربون) ونحوه بسرعة النطق بمقاطع الكلمة مما يسبب سقوط الحركات النهائية أو تقصيرها إتباعاً للفظ . [٦] ففي هذه الكلمات وأشباهها لا يوجد سبب نحوى لحذف الياء منها إلا أنهم قد بنوا فيها الخط على اللفظ إذ الخط نقل اللفظ كما هو .

وعلله بعضهم بأنه قد جاء إتباعاً للهجة عربية فاشية . وقد عزوه إلى هذيل ، كما عزوا إثباتها إلى أهل الحجاز [٧] ومعنى ذلك أن الحجاز كانت تنطق

---

[١] سورة الزمر : (١٠) .

[٢] سورة هود : (٣٠) .

[٣] سورة العنكبوت : (٥٦) .

[٤] سورة الزمر : (٥٣) .

[٥] رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية) صـ٢٩٤ .

[٦] رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية) صـ٢٩٤ .

[٧] اللهجات العربية فى التراث ٦٨٤/٢ ، ولغة هذيل ٦٥ ، ولغة قريش ١٢٨ .

بالصيغة كاملة وافية لا حذف فيها ولا حيف خلافاً لـ هذيل .

أما الياء اللاحقة للفعل في وسط الكلام ولم يكن ما بعدها ساكناً فكثيرًا ما تثبت في الرسم كما في قوله:﴿وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١]، وقوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[٢]،وقوله:﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ [٣]، وقوله تعالى:﴿ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[٤] فالياء في هذه النماذج جاءت في وسط الكلمة مما قد يكون ساعد على الاحتفاظ بها سواء كانت أصلية كما في الفعل (يؤتي) أو زائدة لكونها ضميراً للمتكلم وقد وقعت موقع المفعول به كما في باقي الكلمات .

## ـ ما رسم بحذف الواو لغير علة نحوية :

حذفت الواو من أربع أفعال مرفوعة هي قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [٥] ، وقوله ـ ﷻ ـ : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ البَاطِلَ﴾ [٦] ، وقوله ـ ﷻ ـ : ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ [٧]، وقوله ـ ﷻ ـ : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [٨] قال أبو عمرو : ولم تختلف المصاحف في أن الواو من هذه المواضع ساقطة وكذا اتَّفقت على حذف الواو من قوله في التحريم "و صلح المؤمنين" وهو واحد يؤدّى عن جمع". [٩]

---

[١] سورة البقرة : (٢٤٧) .

[٢] سورة طه : (٩٠) .

[٣] سورة هود : (٥٥) .

[٤] سورة البقرة : (١٥٠) .

[٥] سورة الإسراء من الآية ١١

[٦] سورة الشورى من الآية (٢٤) .

[٧] سورة القمر من الآية (٦) .

[٨] سورة العلق من الآية (١٧) .

[٩] المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٤٢ .

فالواو في هذه الأفعال الأربعة قد حذفت وإن كانت لا توجد علة نحوية (يعنى لا يوجد أداة جزم ليحذف حرف العلة) وإذا لاحظت قول الدانى (أربع أفعال مرفوعة) سيتبين لك أنه لا توجد علة نحوية لحذفها لذلك يعربها المعربون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو المحذوفة .

أما علة هذا الحذف فمنهم من ذكر أنها التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل المتأثر به في الوجود كما هو الحال في حذف الألف قال الزرقاني : " والسر في حذفها من {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ} هو الدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير. والسر في حذفها من {وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ} الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله . والسر في حذفها من {يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ} الإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين . والسر في حذفها من {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} الإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ويجمع هذه الأسرار قول المراكشي : " والسر في حذفها من هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود " ... " . [1] كذا قال السيوطي وغيره . [2] وقيل وقيل : إن الواو قد حذفت في هذه الأفعال الأربعة جريا على لهجة بعض العرب الذين يسقطون الواو اكتفاءً بالضمة قبلها في كثير من الكلمات فبنوا الخط على اللفظ والوصل دون الأصل والقطع يقول أبوبكر الأنباري : " والعلة في هؤلاء الأربعة أنهم اكتفوا بالضمة من الواو فأسقطوها ، ووجدوا الواو ساقطة من اللفظ لسكونها وسكون اللام فبني الخط على اللفظ " . [3] كذا قال أبوعمرو الداني . [1] وقال ابن

---

[1] مناهل العرفان ١/ ٣٠٧ .

[2] البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٩٧ ، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن صـ ٦ .

[3] رسم المصحف ص ٣٠٠ نقلا عن:إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري١/٢٦٩

ابن جني : " وكتب ذلك . (أي الأفعال الأربعة المذكورة ) . بغير واو في الخط دليلا على الوقوف عليه بغير واو فى اللفظ " [٢] . وقد عزا الفراء تلك الظاهرة إلى هوزان وقيس ، وهوزان من قيس وهى من القبائل الضخمة التى سكنت فى مواضع متعددة من نجد ، وقيس كانت تتناثر ديارها بين نجد والحجاز ، وأكثرها قبائل متبدية تميل إلى هذا الحذف الذي قررته ، ويظهر أن هذا الحذف كان يشمل مناطق بدوية أكثر مما ذكره الفراء ، فسيبويه يرى أن هذا الحذف كان عند ناس كثير من قيس وأسد ، بل يظهر أن مناطق شاسعة من قيس وأسد كانت تحذف الواو والياء ، وهما علامة المضمر لاسيما فى القافية ، ودليل ذلك : أن سيبويه سمع منهم من ينشد :

طافت بأعلاقه خَوْدٌ يمانيةٌ  تدعو العرانين من بكرٍ وما جمعْ

وأصل الكلام في البيت : وما جمعوا .... والحق أن حذف الواو والاكتفاء عنها بالضمة ظاهرة سامية عامة وجدت فى الحبشية والعبرية والآرامية . [٣] وعلى هذا فحذف الواو والاجتزاء بالضمة قبلها دليلاً عليها هو من لهجة هوزان وقيس وأسد .

## ثانيا : زيادة وحدة صوتية في الرسم القرآني :

يختلف الرسم القرآني عن الرسم الإملائي المعروف أحياناً بزيادة وحدة صوتية على أصل الكلمة لعلل وأسرار قد خفي علينا أكثرها ، وعلم بعضها كـ (بيان معنى) ، أو التفرقة بين الأشكال المتشابهة في الرسم ، أو لتمكين النطق بما بعدها من الحروف الثقيلة كالهمزة . وتكون هذه الزيادة في الألف ، والواو ، والياء .

فمما زيد فيه لبيان معنى زائد تتضمنه الكلمة المزيدة بالنسبة إلى ما قبله:

---

[١] المحكم في رسم المصاحف صـ ١٥٨ .

[٢] الخصائص ١٣٦/٣ .

[٣] اللهجات العربية فى التراث ٦٨٨/٢ ، ٦٨٩ .

زيادة الألف في مثل {لأاذبحنه} ... زيدت الألِف تنبيهًا على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظًا فالذبح أشد من العذاب ، والإيضاع أشد إفسادًا من زيادة الخبال ... [١] ومن ذلك أيضا كلمة (الربوا) فقد وردت على هذا الشكل في القرآن الكريم ٧ مرات... ووردت كلمة (ربا) مرة واحدة فقط في القرآن الكريم كله... وقد جاءت كلمة (الربوا) بهذا الشكل لتلفت النظر إلى خطورة استخدام الربا في معاملات الناس، وأن الله قد حرم الربا، وأن الله يمحق الربا ويربي الصدقات . أما كلمة (ربا) فقد جاءت مرة واحدة وهي خاصة بأقل شيء يطلق عليه ربا فهو لا يربو عند الله:﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [٢] ونلاحظ أن كلمة (يربوا) تزيد حرف (الألف) في آخرها لتوحي بمعنى الربا وهي الزيادة. [٣]

كذا زيدت الواو في مثل قوله: {سأوريكم دار الفاسقين} {سأوريكم آياتي} للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعظم رتبة في العيان ويدل على ذلك أَن الآيتين جاءتا لِلتهديد والوعيد . وكذلك (أولي وأولوا وأولات) زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على أصحاب فإن في (أُولِي) معنى الصحبة وزيادة التّمليك والولاية عليه ، وكذلك زيدت في (أولئك وأولائكم) حيث وقعا بالواو ؛ لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود ، وليس للفرق بينه وبين (أولئك) كما قاله قوم لانتفاضة أولا [٤] وقيل : زيدت الواو في "أولى" للفرق بينها وبين "إلى" الجارة، وزيدت في "أولئك" للفرق بينها وبين "إليك" واطردت

---

[١] البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٨١ .

[٢] سورة الروم آية (٣٩) .

[٣] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم صـ ٧٣ .

[٤] البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٨٦ .

زيادتها في "أولو" وأولات، وأولئك" حملا على أخواتها . [١] وقيل : إن الواو قد زيدت فيما سبق لبيان الهمزة بعدها . [٢]

ومما زيد فيه للفرق بين المتشابهات في الرسم : زيادة الألف فى مثل (ركبوا ـ قتلوا ـ شربوا) وفي كل فعل اتصلت به واو الجماعة ليفرقوا بين واو الجماعة والواو الأصلية نحو (يبدو) و (يعدو) أو ليفرقوا بين واو الجماعة و واو العطف مثل (نفر وخرج) هل هى واو جماعة (نفرو) أم واو عطف (نفر) وخرج فوضعوا الألف للتفرقة لهذا . [٣]

فزيادة الألف بعد الواو في الأفعال نحوِ : (يَرْجُوا ، وَيَدْعُوا) ؛ لأن الفعل أثقل من الاسم لأنه يستلزم فاعلا فهو جملة والاسم مفرد لا يستلزم غيره فالفعل أزيد من الاسم في الوجود والواو أثقل حروف المد واللين ، والضمة أثقل الحركات والمتحرّك أثقل من الساكن ، فزيدت الألف تنبيهًا على ثقل الجملة ، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل فمع الواو التي هي ضمير الفاعلين أولى ؛ لأن الكلمة جملة مثل قَالُوا وَعَصَوْا ... وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل نحو: {سعو في آياتنا معاجزين} فإنه سَعْيٌ في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود ، وكذلك: {وجاءو بسحر عظيم} و {جاءوا ظلما وزورا} {وجاءو أباهم} {وجاءو على قميصه} ، فَإِنَّ هَذَا الْمَجِيءَ لَيْسَ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ ، وكذلك: {فإن فاءو} وهو فيء بالقلب والاعتقاد . [٤] وإذا حذفت الألف من بعد واو الجماعة مثل (جاءو) و (باءو) و (فاءو) فلعها حذفت على الأصل أو لأنها لا تنطق .

---

[١] رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٤٣ .

[٢] المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٥٩ .

[٣] رسم المصحف د غانم قدورى صـ ٣٣٨ .

[٤] البرهان في علوم القرآن ٣٨٢/١ .

وكذا زيدت الياء في لفظ " بأييد " من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [1] للفرق بين "الأيد" بمعنى القوة ، وبين "الأيدي" جمع يد. ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي . قال ابن عباس وغيره: "بأيد" أي: بقوة وقدرة . وقد اختلف العلماء هل الزائدة هي الياء الأولى أو الثانية ؟ والذي عليه العمل في المصاحف الآن : أن الثانية هي الزائدة، ولذلك وضع الصفر المستدير عليها، كما هي قواعد الضبط . [2]

ومما زيد فيه لتمكين النطق بما بعده أو قبله من الحروف الثقيلة : زيادة الألف أوالواو قبل الهمزة أو بعدها ، فالحرف الذي تقوى به قد يتقدمها وقد يتأخر بعدها ، نحو زيادة الألف في (مائة) ونحوها يقول أبوعمرو الدانى: " فَأَما زيادتهم الألف فِي (مائَة) فلأحد أمرين إما للفرق بين مائَة وبين (مِنْهُ) من حيث اشتبهت صورتهما ... وإما تقوية للهمزة من حيث كانت حرفا خفيا بعيد المخرج فقووها بالألف لتتحقق بذلك نبرتها ، وخصت الألف بذلك معها من حيث كانت من مخرجها وكانت الهمزة قد تصور بصورتها ، وهذا القول عندي أوجه ؛ لأنهم قد زادوا الألف بياناً للهمزة وتقوية لها في كلم لا تشتبه صورهن بصور غيرهن فزال بذلك معنى الفرق وثبت معنى التقوية والبيان لأنه مطرد في كل موضع " [3] .

ومثل ذلك : ("تفتؤا" "يتفيّؤا" "اتوكّؤا" "لا تظمؤا" "و يدرؤا" "قل ما يعبؤا" ويبدؤا الخلق" "تبوؤا الخصم" "أو من ينشؤا" "ينبوؤا الأنسن و"شُرَكؤا" "انبؤا" "عُلموا" "الضُعَفؤا":."تشؤا": "دُعؤا": "شفعؤا": "البلؤا") حيث رسمت ألف بعد همزة مضمومة مرسومة على واو قال الداني : " رسمت الألف بعد الواو في هذه المواضع لأحد

---

[1] سورة الذاريات آية (٤٧) .

[2] رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٤٣ .

[3] المحكم فى نقط المصاحف صـ ١٧٥ .

معنيين : إما تقوية للهمزة لخفائها وهو قول الكسائي ، وإما على تشبيه الواو التي هي صورة الهمزة في ذلك بواو الجمع من حيث وقعتا طرفاً فأُلحقت الألف بعدها كما ألحقت بعد تلك وهو قول أبي عمرو بن العلاء والقولان جيدان " . [١] وقيل : إن الألف قد زيدت في هذه الكلمات بعد الهمزة المتطرفة المضمومة المرسومة على واو على مراد الوصل للمشابهة التي بين هذه الواو في هذه المواضع وبين واو الجمع وواو الأصل في الفعل من حيث وقعت طرفا كهنّ . [٢]

## ثالثا : إبدال وحدة صوتية بأخرى في الرسم القرآني :

بتدبر الكلمات الواردة في المصحف الشريف نجد أنفسنا أمام بعض الكلمات وقد رسمت بالرسم الإملائي المعروف اليوم تارة وبرسم آخر مغاير له بإبدال حرف منها من آخر تارة ثانية لعلل وأسرار يرتبط أكثرها بالمعنى الذي يحدده السياق ويتمثل ذلك في عدة أمور أهمها :

### ١ ـ إبدال التاء المربوطة تاء مبسوطة :

من ذلك كلمات : ( نعمة ، ورحمة ، وسنة ، وامرأة ، وكلمة ، ولعنة ، ومعصية ، وشجرة) فهذه الكلمات وردت في الرسم القرآني بالتاء المربوطة تارة، وبالتاء المفتوحة تارة ثانية على الأصل هكذا ( نعمت ، ورحمت ، وسنت ، وامرأت ، وكلمت ، ولعنت ، ومعصيت ، وشجرت) [٣] وقد علل أحد الباحثين المحدثين ذلك بقوله : وردت (نعمة) بالتاء المربوطة ٢٥ مرة في القرآن الكريم ، ووردت (نعمت) بالتاء المفتوحة ١١ مرة في القرآن الكريم . ونلاحظ حين تدبرنا للآيات الكريمة التي وردت فيها نعمت بالتاء المربوطة أنها تتحدث إما عن نعم الله الظاهرة للعيان وهي

---

[١] المقنع رسم مصاحف الأمصار صـ ٦٥ .

[٢] المقنع رسم مصاحف الأمصار صـ ٤٩ .

[٣] السابق صـ ٨٢ وما بعدها .

النعم العامة للبشر جميعاً... أو تتحدث عن أقل شيء يطلق عليه (نعمة) مثل : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[1] أي أن ما بكم من أقل شيء يطلق عليه (نعمة) فهو من الله وليس أي مخلوق بقادر على أن ينعم عليكم بأقل نعمة... وطبيعي أن تأتي كلمة (نعمة) في هذا المجال بالتاء المربوطة ؛ لأنها محدودة ومربوطة .. أما حينما تأتي (نعمت) بالتاء المفتوحة فإنها تدل على النعمة الخاصة التي وهبها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين من عباده... كما أنها تدل على النعم المفتوحة التي لا يمكن إحصاء عددها... وجدير بالذكر أنه حينما تذكر (نعمت) في أي آية من القرآن فإن يكون ذلك من أجل لفت انتباه قارئ القرآن لتدبر هذه الآية وما حولها من آيات واستخلاص الحكمة والعبرة ... كما في قوله: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[2] ... [3] ولعل هذا كان أثراً من أثار اللهجات العربية في نطق بعض الكلمات فوافق الخط اللفظ لاسيما وأن له نظائر في اللغات السامية مما يدل دلالة أكيدة على قدم النطق باللفظ بتاء مبسوطة وأنه الأصل قال الفراء : " والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيئاً فإنهم يقفون عليها بالتاء فيقولون: هذه أمت، وجاريت،وطلحت [4]

وهذا الذى تصنعه قبيلة طيئ هو ما يوجد فى اللغتين : الأكادية والحبشية من اللغات السامية أخوات اللغة العربية ، وهو يروى كذلك عن اللغة الحميرية قال ابن منظور : " والوثب القعود بلغة حمير ، يقال : ثب أى : اقعد ، ودخل رجل على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : ثب أى اقعد، فوثب فتكسر ، فقال الملك: ليست

---

[1] سورة النحل : من الآية (٥٣) .

[2] سورة إبراهيم :من الآية (٣٤) .

[3] الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن ص ٧٣. وانظر: البرهان ٤١٠/١ وما بعدها

[4] بحوث ومقالات فى اللغة صـ٢٥٨

عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمر ، أى تكلم بالحميرية وقوله عربيت ، يريد العربية ، فوقف على الهاء بالتاء وكذلك لغتهم [١] . وسمع بعض حمير يقول: يا أهل سورة البقرت ، فقال مجيب : ما أحفظ منها ولا أيت [٢]. بل إن بعض القرشيين جرى فى وقفه على تلك اللهجة ، ومن ذلك ما نسب إلى هند بنت عتبة وهى ترثى أباها : يدفع يوم المغلبت يطعم يوم المسغبت

تريد : يوم المغلبة ، ويوم المسغبة [٣] .

## ٢- إبدال السين صادا :

قال الإمام ابن الجزري : " انظر كيف كتبوا "الصراط" و"المصيطرون" بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التي هي الأصل ، لتكون قراءة السين ـ وإن خالفت الرسم من وجه ـ قد أتت على الأصل فيعتدلان وتكون قراءة الإشمام محتملة ، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ، ولذلك كان الخلاف المشهور في "بسطة" الأعراف في قوله ﷻ: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾[٤]. دون "بسطة" البقرة وهي قوله ﷻ: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[٥]. لكون حرف البقرة كتب بالسين ، وحرف الأعراف بالصاد . [٦] قال قال مكي بن أبي طالب: " وحجة من قرأ" "السراط" بالسين، وهو قنبل عن ابن كثير: أن السين في هذا هو الأصل ، وإنما أبدل منها صادا ، لأجل الطاء التي بعدها ، فقرأها على أصلها . ويدل على أن السين هو الأصل:أنه لو كانت الصاد هي الأصل

---

[١] السابق صـ٢٥٩

[٢] الكشف عن أحكام الوقف والوصل صـ١٥٦

[٣] الجانب الصوتى للوقف صـ١٢٤

[٤] سورة الأعراف من الآية (٦٩) .

[٥] سورة البقرة من الآية (٢٤٧) .

[٦] رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٤١ .

لم ترد إلى السين ؛ لضعف السين ، وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف ، وإنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى . وحجة من قرأه بالصاد : أنه اتبع خط المصحف ، وأن السين حرف مهموس فيه تسفل ، وبعدها حرف مطبق مجهور مستعل ، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستفل المهموس فيه تكلف وصعوبة ، فأبدل من السين صادا لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعد ؛ ليكون عمل اللسان في الإطباق والتصعد عملا واحدا ، فذلك أسهل وأخف ، وعليه جمهور العرب وأكثر القراء . [١]

### ٣ ـ ما رسم بالواو وهو بالألف :

يقول الداني في باب ذكر ما رسمت الألف واوا على لفظ التفخيم ومراد الأصل : " رسموا في كل المصاحف الألف واوا في أربعة أصول مطردة وأربعة أحرف متفرقة فالأربعة الأصول هي " الصلوة " و " الزكوة " و " الحيوة " و " الربوا " حيث وقعن ، والأربعة الأحرف هي قوله في الأنعام والكهف " بالغدوة " وفي النور " كمشكوة " وفي المؤمن " النجوةِ " وفي والنجم " ومنوةَ ".... [٢]

أما تعليلهم لهذا الرسم فمنهم من علله بأنه على لفظ التفخيم ومراد الأصل كما يفهم من كلام الداني فكتبت على لهجة بعض العرب فى تفخيم الألف ؛ لأنها إذا فخمت نحى بها نحو الواو فى اللفظ ، ومنهم من علله بأنه كتب على لغة الحيرة الذين تعلم منهم العرب الخط كما ذكر النووي في كتابه ( المنهاج شرح مسلم بن الحجاج) ، ومنهم من ذكر أنه لتعظيم هذه الألفاظ لعظم ما تدل عليه كما يفهم من كلام الزركشي . [٣]

---

[١] الكشف عن وجوه القراءات السبع "/ ٣٤- ٣٥ .

[٢] المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٦٠ .

[٣] البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠٩ وما بعدها .

## رابعاً : ـ ما رسم من الوحدات القطعية مخالفا لما عليه في الأبجدية العربية للتناسب مع رءوس الآى :

بتأمل كلمات القرآن الكريم رسماً ونطقاً نجد أن بعضاً منها قد رسم على وجه ما زيادة أو رسماً مغايراً لتحقيق التناسب بين كلماته لاسيما في رءوس الآي أو الفاصلة .

فمما زيد فيه للتناسب بين رءوس الآي : زيادة الألف فى الفواصل عند الوقف عليها للتناسب بينها كما فى قوله ﷻ :﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [1] و قوله ﷻ ﴿ الرَّسُولاْ﴾ [2] و﴿ السَّبِيلاْ﴾[3] . وقد وضحنا ذلك في حديثنا عن الفاصلة القرآنية .

ومما جاء رسمه مغايراً لما عليه منطوق اللفظ تحقيقا للتناسب بين الآي أو الكلمات ، أو لإباحة نطقها بالحركة الممزوجة أو المركبة كلمات مثل (الضحى . سجى . قلى) ونظائرها يقول الداني: " اعلم إن المصاحف اتفقت على رسم ما كان من ذوات الياء من الأسماء والأفعال بالياء على مراد الإمالة وتغليب الأصل وسواء اتصل ذلك بضمير أو لم يتصل أو لقي ساكناً أو متحركاً وذلك نحو : " الموتى، والسلوى، والمرضى، والأسرى، وشتّى، وصرعى، وطوبى، والحسنى، والليسرى، وللعسرى، والبشرى، وموسى، وعيسى، واحدى، واحديهما، واحديهن، وبشريكم، وفي أخريكم، ومجريها، ومرسيها، والهدى " . (٤)

## خامسا : وضع علامات لوحدات صوتية في المصحف لتحقيق التلاوة :

---

[1] سورة الأحزاب من الآية (١٠) .

[2] سورة الأحزاب من الآية (٦٦) .

[3] سورة الأحزاب من الآية (٦٧) .

[4] المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص: ٦٨ وما بعدها .

من الملامح الصوتية في الرسم القرآني وضع علامات مخصوصة لوحدات صوتية قطعية وغير قطعية تلحق الحرف للدلالة على حركة مخصوصة أو سكون أو مد أو تنوين أو شد أو نحو ذلك لضبط وتحقيق التلاوة في المصحف بحيث تكون القراءة سهلة دون تشدق ولا تمطيط ولا لوك . وذلك في مرحلة متأخرة عن الرسم العثماني ، إذ من المعلوم أن المصاحف في بداية كتابتها كانت غير منقوطة ولا مشكولة ، وكان الناس لا يجدون مشقة في قراءتها والتفريق بين الكلمات وإن تشابهت الحروف بسبب فطرتهم العربية السليمة ، وتلقيهم للقرآن الكريم مشافهة من رسول الله ﷺ . ومن الصحابة الذين تلقوا عنه ﷺ . فلما اتسعت بلاد المسلمين ، وكثر الأعاجم الداخلون في الإسلام ، بدأ اللحن يتطرق إلى ألسنة الناس ، وظهر ذلك في قراءة بعضهم للقرآن الكريم ، فاقتضى الأمر وضع علامات تساعد على النطق السليم لكلمات القرآن الكريم دون المساس بالرسم العثماني ". (١)

والهدف من وضع هذه العلامات : حفظ كتاب الله تعالى من التحريف والتبديل بعد أن اختلط اللسان العربي باللسان العجمي ، كما أن هذه العلامات وإن لم يكن لها دخل بالرسم العثماني إلا أنها مظاهر صوتية تساعد على تحقيق النطق السليم به . وسنقتصر في حديثنا هنا على العلامات التي وضعت مؤخرًا حيث تحدثنا ـ سابقاً في إيجاز ـ عن عمل أبي الأسود الدؤلي ، والخليل بن أحمد .

ومن أهم هذه العلامات : " وضع الصفر المستدير "يْ " فوق حرف علة يدل على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف ، نحو: "يتلوا صحفا" "أولئك" "من نبأى المرسلين" "بنيناها بأييد". ووضع الصفر المستطيل القائم "ْ " فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلا لا وقفا، نحو: { أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ}

(١) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٨٧ .

{لَكِنَّا هُوَ اللَّـهُ رَبِّي} . وأهملت الألف التي بعدها ساكن، نحو: {أَنَا النَّذِير} . من وضع الصفر المستطيل فوقها وإن كان حكمها مثل التي بعدها متحرك في أنها تسقط وصلا وتثبت وقفا، لعدم توهم ثبوتها وصلا . ووضع رأس خاء صغيرة بدون نقطة "ْ "" فوق أي حرف يدل على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مظهر بحيث يقرعه اللسان، نحو: {مِنْ خَيْر} {وينئون عنه} {قَدْ سَمِع} {أَوَعَظْت} {وَخُضْتُم} . وتعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغاما كاملا، نحو: {أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا} {يَلْهَثْ ذَلِك} {وَقَالَتْ طَائِفَة} {وَمَنْ يُكْرِهْهُن} وكذا قوله تعالى {أَلَمْ نَخْلُقْكُم} على أرجح الوجهين فيه . وتعريته مع عدم تشديد التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغاما ناقصا نحو من يقول {مِنْ وَال} {فَرَّطْتُم} {بَسْطَة} . أو إخفائه عنده فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان، ولا هو مدغم حتى يقلب من جنس تاليه نحو: {مِنْ تَحْتِهَا} {مِنْ ثَمَرَة} {إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِم} . ووضع ميم صغيرة "م" بدل الحركة الثانية من المنون أو فوق النون الساكنة بدل السكون مع عدم تشديد الباء التالية يدل على قلب التنوين أو النون ميما ، نحو: {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور} {جَزَاءً بِمَا كَانُوا} {مُنْبَثًّا} . وتركيب الحركتين: "ضمتين أو فتحتين أو كسرتين" هكذا: ُ ُ ٌ ٌ يدل على إظهار التنوين، نحو: {سَمِيعٌ عَلِيم} {وَلا شَرَابًا، إِلَّا} {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} . وتتابعهما هكذا ـٌ ـً ـٍ مع تشديد التالي يدل على الإدغام الكامل نحو: {خُشُبٌ مُسَنَّدَة} {غَفُورًا رَحِيمًا} {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ} . وتتابعهما مع عدم التشديد يدل على الإدغام الناقص نحو: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} {رَحِيمٌ وَدُود} أو الإخفاء، نحو: {شِهَابٌ ثَاقِب} {سِرَاعًا ذَلِك} {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ} فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف. وتتابعهما بمنزلة تعريته عنه . والحروف الصغيرة تدلى على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها، نحو: {ذَلِكَ الْكِتَاب} {يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم} {إن ولي الله} {إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ} {وكذلك ننجي المؤمنين} . وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف

حمراء بقدر حروف الكتابة الأصلية ، ولكن تعسر ذلك في المطابع ، فاكتفى بتصغيرها في الدلالة على المقصود . وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عول في النطق على الحرف الملحق لا على البدل ، نحو: {الصَّلاة} ، {الرِّبا} ، {التَّوْرَاةُ} ونحو: {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ} ، {فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} . فإن وضعت السين تحت الصاد دل على أن النطق بالصاد أشهر وذلك في لفظ : {الْمُصَيْطِرُون} . ووضع هذه العلامة " ّ " فوق الحرف يدل على لزوم مده مدا زائدا على المد الأصلي الطبيعي، نحو : {الم} ، {الطَّامَّة} ، {قُرُوء}، {سيئ بهم} ، {شُفَعَاء} ، {تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّه} ، {لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ} ، {بِمَا أَنْزَل} على تفصيل يعلم من فن التجويد. ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل آمنوا كما وضع غلطا في كثير من المصاحف بل تكتب ءامنوا بهمزة وألف بعدها . والدائرة المحلاة التي في جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء الآية ، وبرقمها على عدد تلك الآية في السورة ، نحو: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} ولا يجوز وضعها قبل الآية ألبتة فلذلك لا توجد في أوائل السور، وتوجد دائما في أواخرها. وتدل هذه العلامة " " على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها . ووضع خط أفقي فوق كلمة يدل على موجب السجدة . ووضع هذه العلامة " " بعد كلمة يدل على موضع السجدة نحو: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} . ووضع النقطة الخالية الوسط المعينة الشكل " ْ " تحت الراء في قوله تعالى: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا} . يدل على إمالة الفتحة إلى الكسرة ، وإمالة الألف إلى الياء ، وكان النقاط يضعونها دائرة حمراء فلما تعسر ذلك في المطابع عدل إلى الشكل المعين . ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قبيل النون المشددة من قوله تعالى: {مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ} . يدل على الإشمام "وهو ضم الشفتين" كمن يريد النطق بضمة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة

"من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق". ووضع نقطة مدورة مسدودة الوسط "." فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى: {أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} . يدل على تسهيلها بين بين، أي بين الهمزة والألف . ووضع حرف السين فوق الحرف الأخير في بعض الكلمات يدلى على السكت على ذلك الحرف في حال وصله بما بعده سكتة يسيرة من غير تنفس فقد ورد عن حفص عن عاصم السكت بلا خلاف من طريق الشاطبية على ألف {عِوَجًا} بسورة الكهف، وألف {مَرْقَدِنَا} بسورة يس، ونون {مَنْ رَاقٍ} بسورة القيامة، ولام {بَلْ رَانَ} بسورة المطففين .... وإلحاق واو صغيرة بعد هاء ضمير المفرد الغائب إذا كانت مضمومة يدل على صلة هذه الهاء بواو لفظية في حال الوصل . وإلحاق ياء صغيرة مردودة إلى خلف بعد هاء الضمير المذكور إذا كانت مكسورة يدلى على صلتها بياء لفظية في حال الوصل أيضا . وتكون هذه الصلة بنوعيها من قبيل المد الطبيعي إذا لم يكن بعدها همز، فتمد بمقدار حركتين: نحو قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} . وتكون من قبيل المد المنفصل إذا كان بعدها همز فتوضع عليها علامة المد ، وتمد بمقدار أربع حركات أو خمس نحو قوله تعالى: {وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّه} ، وقوله جل وعلا: { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} .... وكذا وضعت علامات للوقف وتحديد نوعه مثل : "مـ" علامة الوقف اللام، نحو: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} . و"لا" علامة الوقف الممنوع، نحو: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} . و"ج" علامة الوقف الجائز جوازا مستوي الطرفين، نحو: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ} . و"صلي" علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى، نحو: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} . و"قلي" علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى، نحو: {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ} . و".. .." علامة

تعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر، نحو: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} . (١)

وفي الرسم القرآني . أيضًا . مظاهر صوتية أخرى غير ما سبق منها ما يتعلق بالهمزة وكيفية رسمها تحقيقاً أو تسهيلاً بين بين أو تخفيفاً بإبدالها واوا أو ياءا أو ألفا أو بحذفها ، ومنها ما يوضح مذاهب القراء خاصة فيما يحتمله الرسم من القراءات المختلفة . ومن هنا يمكننا القول بأن الله ﷻ قد أحاط كتابه "القرآن الكريم" بالعناية والرعاية والحفظ وهيأ الأمة كلها لأن تتحمل مسئولية الحفاظ على هذا الكتاب العزيز باعتباره منهاج حياتها . بالإضافة إلى السنة النبوية . حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وبمراجعة ما سبق يمكننا القول : إن اختلاف الرسم القرآني عن الرسم الإملائي المصطلح عليه ، وتطوره على مر العصور قد كان لعلل وأسرار علمنا عن طريق علمائنا بعضا منه وخفي عنا أكثرها . حيث إن وجود كلمة قرآنية برسم مختلف في آية يلفت النظر إلى أن هناك أمراً عظيماً يجب تدبره . ففي حالة زيادة حرف في الكلمة عن الكلمة المعتادة فإن هذا يعني زيادة في المبنى يتبعه زيادة في المعنى . كذلك فإن زيادة المبنى يمكن أن يؤدي إلى معنى التراخي أو التمهل أو التأمل والتفكر أو انفصال أجزائه . وفي حالة نقص حرف من الكلمة فإن هذا يعني إما سرعة الحدث أو انكماش المعنى وضغطه أو تلاحم أجزائه . وفي إبدال حرف من آخر تحقيق لغاية صوتية ترتبط بأدائه ، كما أن كثيرا من الكلمات المرسومة مثل (رحمت وسنت) ترجع الى خصائص الخط النبطي التي انتقلت الى الخط العربي في المدينة وظهر واضحا في رسم المصحف العثماني هذا من جهة ، ومن جهة ثانية وجود قراءات متعددة في كلمة واحدة قد استلزم نمطا خاصا في الرسم ليسع

(١) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة صـ ٩٦ . ١٠١ بتصرف .

تلك القراءات المتعددة واهتدى الصحابة إلى هذا رضوان الله عليهم . ومن جهة ثالثة إفادة بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيىء وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع . ومثل قوله سبحانه: {يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} كتبت بحذف الياء من (يأت) للدلالة على لغة هذيل ... إلخ .

كما أن اختلاف الرسم القرآني قد جاء منسجماً مع السياق الوارد فيه تلك الكلمات المختلفة ، فالسياق مطلب اللغة والبيان ومحور السلامة في الأداء ومرجع التقولات الناشئة عن مثل ما تصور أصحابنا ، فنظرًا لقيمة السياق في الأداء جاءت كلمات قرآنية على رسوم خاصة بها لربط القارئ بالسياق معنى ولو على حساب بناء الكلمة .

وقد تم ذلك كله بعلم الله وإرادته أو توقيفه كما هو رأي الجمهور قال تعالى:﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد﴾ (١) وقد تكفل الله ﷻ بحفظه على هذه الهيئة فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . (٢)

---

(١) سورة فصلت : آية (٤٢) .

(٢) سورة الحجر آية (٩) .

# الخاتمة

يعد النص القرآني أفضل النصوص لدراسة أصوات اللغة العربية نظراً لاشتماله على أصوات اللغة العربية كافة نطقاً وأداءً ، ولثبات نظامه الصوتي واستقراره طيلة خمسة عشر قرناً من الزمان حتى لو أن عربيًّا جاهليًّا بعث الآن وسمعنا ننطق بلفظ فصيح لفهمه ؛ لأن أصوات لغتنا الفصحى لم يطرأ عليها تغيير، فطريقة النطق بها اليوم لا تختلف في شيء عن طريقة النطق بها بالأمس البعيد ، كما أن الدراسات الصوتية العربية قد نشأت أساسا في كنفه ووضعت لخدمته من حيث إحكام نطقه وإتقان تجويده الأمر الذي أدى بنا إلى البحث عن ملامح هذا النظام ومعرفة بعض النتائج المستخلصة منه ، إذ قد توصل البحث فيما درس من هذا النظام إلى نتائج عدة أهمها كالآتي :

أولا : أن النظام الصوتي في لغة القرآن يتألف من وحدات صوتية قطعية عديدة على النحو الآتي :

١. يتكون من ثلاثة وثلاثين حرفاً صامتاً منها تسعة وعشرون حرفاً أصلياً وأربعة أحرف فرعية تنطق ولا تكتب كل منها يمثل وحدة صوتية قطعية مستقلة ، فالحروف الفرعية المستحسنة ويجوز أن يقرأ بها القرآن الكريم لأنها من جنس الأحرف السبعة التي نزل بها أو سمح للعرب أن يقرؤه بها أربعة وليست الستة ؛ لأن الألف لتي تمال ، وألف التفخيم واللتان عدهما سيبويه وغيره من علماء العربية حركتان فرعيتان وليستا حرفين فرعيين .
٢. يشتمل على حركات أساسية . (قصيرة وطويلة) . لها رموز كتابية في الخط العربي بعد مجيئ الإسلام ، وعلى حركات أخرى فرعية تظهر في النطق دون الكتابة ومرجعها إلى اختلاف اللهجات العربية في النطق بها وليست لها رموز كتابية وإنما تدرك مشافهة ، وعلى حركات أخرى خاصة بالنص القرآني وطريقة أدائه بعضها له رمز كتابي في المصحف الشريف وبعضها الآخر يدرك مشافهة كما هو مبين في موضعه من هذا البحث .

٣. يشتمل على وحدات صوتية لا توصف بكونها صامتة أو صائتة بل هي بين الاثنين ؛ لذا تسمى أنصاف الحركات أو أشباه الصوامت ، وهي : الواو والياء لغير المد ، كما في نحو: وجد ، يجد ، حوض ، بيت . وتعتبر هذه الوحدات الصوتية نوعاً مستقلاً في النظام الصوتي للعربية لما في طبيعة النطق بها من اختلاف واضح عن النطق بالحركات الخالصة من جهة ، والصوامت من جهة أخرى .

ثانيا : أن بعض الوحدات الصوتية صامتة كانت أو صائتة كان أكثر استعمالاً في القرآن الكريم من بعض فما خف منها في نطقه على اللسان وكان واضحا في السمع أو كانت له نبرة محددة ونغمة صوتية مميزة كثر استعماله عما عداه .

ثالثا : حرصت لغة القرآن الكريم على تحقيق التناسب أو الانسجام الصوتي بين الوحدات القطعية في الفاصلة القرآنية تبعاً لوحدة المقطع وموضوعه ، واختار لها من الحروف ما كان أكثرها ترنماً أو استعمالا ، وأحدث اختلافا في نسيجها الصوتي وفي بنيتها الصرفية للتناسب بين رءوس الآيات تارة ، وحرصاً على إيقاع الألفاظ الذي هو جانب صوتي مهم في أداء القرآن الكريم تارة ثانية فقد جبل الناس على حبه لما فيه من نغمة صوتية محببة بحيث تثير انتباه السامع وتدعوه إلى التأمل في معرفة مدلوله ، ومدى توافق هذا الأداء الإيقاعي ومناسبته للمقام .

رابعا : أن الرسم العثماني لم يكن مخالفاً لقواعد الهجاء المعروفة ؛ لأنه أسبق في وجوده من هذه القواعد التي وضعت فيما بعد لتيسير النطق بالقراءة بعد انتشار الإسلام وكثرة اللحن من الأعاجم وغيرهم ، فرموز الحركات القصيرة والطويلة كانت في مرحلة تالية لرسم المصحف . وعلى ذلك يكون الرسم العثماني هو النموذج الحقيقي لحالة الكتابة العربية في الفترة التي نسخت فيها المصاحف .

**خامسا : اشتمل الرسم القرآني في عهد سيدنا عثمان بن عفان . ﷺ . وما تلاه من العصور على ملامح صوتية كثيرة تحقق النطق السليم لكتاب الله . ﷻ . كما تلقاه سيدنا محمد . ﷺ . عن أمين الوحي جبريل . عليه السلام . بحيث لو قرئ بغيره عد ذلك لحناً في كتاب الله ﷻ .**

# المصادر والمراجع


- القرآن الكريم .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر . أحمد بن محمد الدمياطيّ الشهير بالبناء ـ تح/ أنس مهرة . دار الكتب العلمية – لبنان ـ ط/الثالثة ـ ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ
- الإتقان في علوم القرآن . السيوطي . تح / مركز الدراسات القرآنية . دار النشر: مجمع الملك فهد . السعودية . الطبعة الأولى .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . أبوالسعود العمادي . دار إحياء التراث العربي – بيروت
- أسرار العربية . أبو البركات الأنبارى . تح / محمد بهجت البيطار . بدون
- أسس النحو العبري . د / محمد سبعاوي . القاهرة . ١٩٩٠ .
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب . زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ـ دار الكتاب الإسلامي بدون .
- الأصوات اللغوية . د/ إبراهيم أنيس . الأنجلو المصرية . ١٩٩٥ .
- الأصوات اللغوية . عبد القادر عبد الجليل ـ دار صفاء /عما ن ـ ط أولى ١٩٩٨ .
- أطلس أصوات اللغة العربية. وفاء محمد البيه . الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط أولى/ ١٩٩٤ م .
- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم . د/ عبد الحميد هنداوي . الدار الثقافية للنشر. القاهرة . ط أولى ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤ م . .
- إعجاز القرآن . أبوبكر الباقلاني . تح /سيد أحمد صقر ـ دار المعارف /مصرالطبعة الخامسة ١٩٩٧م .

- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم . علي بن نايف الشحود .
- إعراب القرآن . أبو جعفر النحاس . تح / زهير غازى زاهد . عالم الكتب . ط ثانية ١٤٠٥ / ١٩٨٥ .
- ألفاظ القرآن الكريم دراسة علمية تكنولوجية . د/ علي حلمي موسى . نقلا عن أرشيف ملتقى أهل التفسير .
- البحث اللغوى عند العرب . د/ أحمد مختار عمر . عالم الكتب/القاهرة . ط سابعة ١٩٩٧ م .
- البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي . تح الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين . دار الكتب العلمية بيروت/لبنان . ط/أولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
- بحوث ومقالات في اللغة . د / رمضان عبد التواب . الخانجي/القاهرة . ط ثالثة ١٤١٥ / ١٩٩٥ م .
- البرهان في علوم القرآن . الزركشي . تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه . ط/أولى . ١٣٧٦ هـ /١٩٥٧ م .
- البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنص للقرآني) . د/تمام حسان . عالم الكتب .
- البيان والتبيين . الجاحظ . تح / فوزي عطوى . دار صعب . بيروت .
- تاريخ آداب العرب . مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي .
- ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . د / عبد الفتاح البركاوي . ط أولى ١٤٢٥ / ٢٠٠٤
- التطور النحوى . براجشتراسر . تعريب د/ رمضان عبدالتواب . الخانجى ط ثالثة ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م .
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) . دار الفكر /بيروت .

- التفسير الكبير. الفخرالرازي . دار إحياء التراث العربي بيروت ط/الثالثة ١٤٢٠هـ .
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . نظام الدين الحسن النيسابوري . تح / الشيخ زكريا عميران . دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ط/أولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م
- التمهيد في علم التجويد . ابن الجزري . تح/ على حسين البواب . مكتبة المعارف/الرياض . ط/أولى ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م .
- تهذيب اللغة . أبو منصور الأزهري . تح/محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي / بيروت ط/أولى ٢٠٠١ م .
- الجامع لأحكام القرآن . القرطبي . دار الشعب /القاهرة .
- الجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها . د/ أحمد طه سلطان . مطبعة الأمانة . ط أولى ١٤١١ / ١٩٩١ م .
- جمهرة اللغة . أبوبكر بن دريد . تح / رمزي منير بعلبكي . دار العلم للملايين / بيروت . ط/أولى ١٩٨٧م .
- جهد المقل . المرعشي . تح د/ سالم قدوري الحمد . دار عمار/عمان . ط أولى ٢٠٠١ م
- الحاوي الكبير . أبو الحسن الماوردي . دار الفكر/بيروت .
- الحجة فى علل القراءات السبع . أبو على الفارسى . تح/ على النجى ناصف . ود/عبد الفتاح شلبى . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط ثانية ١٤٠٣ /١٩٨٣
- حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات . نعيم اليافي . مجلة التراث العربي ع ١٧ دمشق ١٩٨٤ .

- حياة اللغة العربية . حفني ناصف . مكتبة الثقافة الدينية / القاهرة . ط/ أولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م .
- الخصائص . أبو الفتح عثمان بن جنى . تح/ محمد على النجار . الهيئة المصرية للكتاب . ط ثالثة ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية . د/عبد العظيم المطعني . مكتبة وهبة ط/أولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه . د/ مهدي المخزومي . دار الرائد العربي /بيروت ط/ثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد . د/ غانم قدوري الحمد. مطبعة الخلود بغداد ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث . د/ حسام البهنساوي . مكتبة زهراء الشرق /القاهرة . ط/أولى ٢٠٠٥ م.
- دراسات في علم اللغة . د/ كمال بشر . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
- دراسات في فقه اللغة . د/ صبحي الصالح . دار العلم للملايين ط/أولى ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م .
- دراسة الصوت اللغوى . د/ أحمد مختار عمر . عالم الكتب/القاهرة . ١٤١٨ / ١٩٩٧م .
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(تاريخ ابن خلدون) . تح/خليل شحادة دار الفكر/ بيروت الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م .
- رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية) . د/ غانم قدوري الحمد . اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري . ط/أولى ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم . د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي . مكتبة وهبة .
- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة . شعبان محمد إسماعيل . دار السلام للطباعة والنشر . الطبعة الثانية بدون .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة . مكى بن أبى طالب . تح د/أحمد حسن . دار الكتب العربية بدون .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . أبو الفضل شهاب الألوسي . دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- الزينة فى الكلمات الإسلامية والعربية . أبو حاتم الرازى . تح/ حسين بن فيض الله الهمذانى . القاهرة . ط ثانية .
- السجع القرآني دراسة أسلوبية . رسالة ماجستير للباحثة / هدى عطية عبد الغفار . كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠١ م .
- سر صناعة الإعراب . أبو الفتح عثمان بن جنى تح/ أحمد فريد أحمد . المكتبة التوفيقية . بدون .
- سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي . دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م .
- السيرة النبوية . عبد الملك بن هشام . تح / طه عبد الرءوف سعد . دار الجيل بيروت . ط/ أولى ١٤١١ هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تح / محمد محي الدين عبد الحميد . دار التراث – القاهرة . الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠ م
- شرح شافية ابن الحاجب . رضى الدين الاسترابازى . تح/ محمد نور الحسن وآخرين . دار الكتب العلمية . بدون .

- الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية . محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل . مجلة الجامعة الإسلامية . السنة العاشرة العدد الأول . جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ مايو - يونية ١٩٧٧ م
- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية فى كلامها . ابن فارس . تح/ السيد أحمد صقر . دار إحياء الكتب العربية . بدون
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . القلقشندي . دار الكتب العلمية بيروت .
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) . محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . تح/ محمد زهير بن ناصر الناصر . دار طوق النجاة . ط/أولى ١٤٢٢هـ
- ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون - يحيى بن علي المباركي . مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . العدد ١٢٠ . السنة ٣٥ – ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م .
- العزف على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة . محمود توفيق محمد سعد .
- علم الأصوات اللغوية الفونتيكا د/ عصام نور الدين . دار الفكر اللبناني / بيروت ط أولى ١٩٩٢ م .
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب . محمد مراياتي وآخرون . مجمع اللغة العربية دمشق 1997 م .
- علم الصوتيات . د/عبالله ربيع ، ود/ عبدالعزيز علام . مكتبة الطالب الجامعي /مكة المكرمة . ط/ثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م .
- علم اللغة العام ( الأصوات العربية ) د/ كمال محمد بشر . مكتبة الشباب .
- علم اللغة العربية . د/ محمود فهمى حجازى . دار غريب .

- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة . د/عبد العزيز أحمد علام . ط أولى ١٤١٠ / ١٩٩٠ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار المعرفة/بيروت ١٣٧٩هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . الشوكاني . دارالفكر / بيروت .
- الفصحى لغة القرآن . د/ أنور الجندي . دارالكتاب اللبناني . دار الكتاب المصري .
- فصول في علم الأصوات . محمد جواد النوري . مطبعة النصر نابلس . ط أولى ١٩٩٨.
- فصول فى فقه العربية . د/ رمضان عبد التواب الخانجى . القاهرة . ط ثالثة . ١٤١٥ / ١٩٩٤ .
- الفواصل القرآنية . دراسة بلاغية . د/السيد خضر . مكتبة الإيمان بالمنصورة .
- في البحث الصوتي عند العرب ، د/ خليل إبراهيم العطية . دار الجاحظ / بغداد ١٩٨٢م.
- فى اللهجات العربية . د/ إبراهيم أنيس . الأنجلو المصرية . ط ثانية ١٩٩٠م .
- في علم اللغة . د/ محمد محي الدين أحمد محمود .
- القراءات واللهجات . د/ عبدالوهاب حمودة . مكتبة النهضة العربية/ الرياض ط أولى ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م .
- القواعد والإشارات في أصول القراءات . أحمد بن عمر الحموي تح د/ عبد الكريم بن محمد الحسن بكار . دار القلم / دمشق ط/أولى - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- القوافي . القاضي أبو يعلي التنوخي . تح د/ عوني عبد الرءوف . مكتبة الخانجي / مصر . الطبعة الثانية ١٩٧٨ .
- الكتاب . سيبويه . تح / عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي/ القاهرة . الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- كتاب العين . الخليل بن أحمد . تح د / مهدي المخزومي ، ود/ إبراهيم السامرائي . دار ومكتبة الهلال .
- الكشف عن أحكام الوقف والوصل فى العربية . د/ محمد سالم محيسن دار الجيل/ بيروت . ط أولى . ١٤١٢ / ١٩٩٢ .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها . مكى بن أبى طالب . مؤسسة الرسالة .
- كلام العرب – د/ حسن ظاظا . دار المعارف ١٩٧٠ م .
- اللامات . أبو القاسم الزجاجي . تح د/ مازن المبارك . دار الفكر / دمشق . ط ثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- اللباب في علل البناء والإعراب . أبو البقاء العكبري . تح د/ عبد الإله النبهان . دار الفكر/ دمشق . ط/أولى . ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
- اللباب في علوم الكتاب . ابن عادل الدمشقي . تح الشيخ /عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ط/أولى ١٤١٩ /١٩٩٨م .
- لسان العرب . ابن منظور . دار صادر بيروت . الطبعة الأولى .
- اللغة العربية عبر القرون د / محمود فهمي حجازي .
- اللغة العربية معناها ومبناها . د/ تمام حسان . عالم الكتب . ط ثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

- لغة القرآن دراسة توثيقية فنية . د /احمد مختار عمر- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . ط الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م .
- لغة قريش . مختار الغوث . دار المعراج الدولية الرياض/ السعودية . ط أولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م .
- لغة هذيل . د / عبدالجواد الطيب . ليبيا . طرابلس .
- اللهجات العربية فى التراث . د/ علم الدين الجندى . الدار العربية للكتاب طرابلس .
- اللهجات العربية وامتدادها إلى العصر الحاضر . د / عيد الطيب ١٤١٥ / ١٩٩٤ .
- مباحث في علوم القرآن . د/ صبحي الصالح . دار العلم للملايين . الطبعة الرابعة والعشرون يناير ٢٠٠٠ م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ابن الأثير الكاتب - تح/محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ١٤٢٠ هـ .
- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . ابن جنى . تح/ على النجدى ناصف . و د/عبد الفتاح شلبى . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٤١٤ / ١٩٩٤ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية الأندلسي . تح/عبد السلام عبد الشافي محمد . دار الكتب العلمية / لبنان . ط/أولى١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
- المحكم في نقط المصاحف . عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني تح د/ عزة حسن . دار الفكر – دمشق . الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ
- المختصر في أصوات اللغة العربية(دراسة نظرية وتطبيقية) د / محمد حسن جبل . مكتبة الآداب / القاهرة . ط/ رابعة ١٤٢٧/ ٢٠٠٦ .

- المدخل إلى علم اللغة ـ د/ رمضان عبدالتواب . مكتبة الخانجي /القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن . تأليف / سباتينو موسكاتى . وآخرين ترجمة د/ مهدى المخزومى ، ود/ عبد الجبار المطلبى . عالم الكتب/ بيروت . ط أولى ١٤١٤ / ١٩٩٣
- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . للسيوطى . تح/ محمد جاد المولى وأخرين . المكتبة العصرية / بيروت ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م .
- المصاحف . أبو بكر السجستاني . تح/محب الدين عبد السبحان واعظ . بيروت . ط/أولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- معانى القراءات . أبو منصور الأزهرى . تح/ د/ عيد مصطفى درويش ، د/عوض بن حمد القوزى . دار المعارف/مصر . ط أولى ١٤١٢ /١٩٩١ م
- معجم مقاييس اللغة . أحمد بن فارس الرازي . تح/ عبد السلام هارون . دارالفكر ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
- المعجم الكبير . أبو القاسم الطبراني . تح/حمدي بن عبد المجيد السلفي . مكتبة ابن تيمية – القاهرة . الطبعة: الثانية .
- المقتضب . محمد بن يزيد المبرد. تح/محمد عبد الخالق عظيمة . عالم الكتب/ بيروت .
- مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون . دارالقلم/ بيروت ط/خامسة ١٩٨٤ م .
- المقرب . ابن عصفور . تح د/ يعقوب الغنيم .
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار . أبو عمرو الداني . تح/ محمد الصادق قمحاوي . مكتبة الكليات الأزهرية/القاهرة .
- الممتع الكبير في التصريف . ابن عصفور . مكتبة لبنان . ط/أولى ١٩٩٦

- من أحكام علم التجويد القرآني ( الإخفاء ) د / سيد أحمد الصاوي . مصر ٢٠٠٥ م .
- من بلاغة القرآن . بدوي أحمد أحمد . مطبعة الرسالة / القاهرة . ط ثالثة ١٩٥٠ م .
- من وحي القرآن . د / إبراهيم السامرائي . دار الفكر / دمشق ١٩٩٩ .
- مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني . تح / فواز أحمد زمرلي . دار الكتاب العربي / بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- النشر في القراءات العشر . ابن الجزري . تح / علي محمد الضباع . المطبعة التجارية الكبرى.
- النظام التركيبي لحركات العربية (دراسة صوتية في القراءات واللهجات)ـ د/ أبوبكر حسيني . مكتبة الآداب /القاهرة . ط/أولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .
- نظرية إيقاع الشعر العربي . د/ محمد العياشي .
- النكت في إعجاز القرآن من خلال كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(للرماني والخطابي وعبدالقاهرالجرجاني) تح/محمد خلف الله أحمد ، ود/محمد زغلول سلام . دار المعارف / مصر . ط/ثالثة من سلسلة ذخائر العرب .
- نهاية القول المفيد فى علم التجويد . للشيخ / محمد مكى نصر . مصطفى البابى الحلبى ١٣٤٩ هـ .